ينابيع الإيمان
-١٢-

إفرام السرياني

بين مائدة ومائدة

www.christianlib.com

الخوري بولس الفغالي

منشورات
الجامعة الأنطونية

طبعة أولى – ٢٠٠٥
جَميع الحقوق محفوظة

الطباعة: مؤسسة دكاش للطباعة
البوار – كسروان – لبنان – تلفون: ٠٩/٤٤٨٥٤٧

التوزيع: • دير مار روكز – الدكوانه
ص.ب. ٥٥٠٣٥ بيروت، لبنان

• المكتبة البولسية
شارع القديس بولس – ص.ب: ١٢٥
٥٠١٠ جونيه، لبنان

تقديم

في أساس هذا الكتاب ثلاث مقالات عن الإفخارستيّا عند أفرام السريانيّ هي: الافخارستيا وذبيحة الصليب، الافخارستيا وحضور المسيح، الافخارستيا واستعداداتنا.

دوّنتها، وضعتُ النصوص الكثيرة ونقلتها إلى العربيّة، بعد أن اخترتها من كتب أفرام المختلفة.

وكان لي الحظّ أن أعود إلى «أيّام الصبا» ساعة كنت أهيئ للدكتوراه في باريس. في وقتها، اكتشفتُ أناشيد المائدة التي نشرها الكردينال أغناطيوس رحمانيّ. الكلام فيها عن الطعام كمناسبة لأحاديث وأحاديث في الحياة العائليّة والاجتماعيّة.

وسنة الإفخارستيّا دعتني إلى أن أنقل خمسة أناشيد في الإفخارستيّا دوّنت في اللغة الأرمنيّة فنقلتها عن اللاتينيّة والفرنسيّة. وبحثت فوجدت بعض الميامر في أناشيد الإيمان وأناشيد البتوليّة.

ورجعت إلى أيّام كنت أعمل مع الأستاذ يوسف الخال، رحمه الله، فاقترحت عليه أن أقدّم شعر أفرام حول المرجانة. نحن لا ننسى صيد المرجان في المحيط الهنديّ والبحار الملتصقة به. خمس قصائد في المرجانة نقلتها، وقرأتها مع الخوري مارون مطر، رحمه الله. ولكن بعد سنوات من رفقة الآباء السريان، ولا سيّما أفرام والسروجيّ، أعدتُ الترجمة وقدّمتها في القسم الأخير من الكتاب. فالمرجانة هي الدرّة الثمينة التي يبيع المؤمن كلّ ماله ويشتريها. والمرجانة هي يسوع المسيح في الجسد. وهي

موهبة المواهب التي أعطيتْ للمؤمنين وسط الصعوبات التي يمكن أن يتعرّضوا لها في حيانهم اليوميّة.

نشير أنّنا في أناشيد البتوليّة والإيمان، لن يكون فقط الموضوع الإفخارستيّا. ولكنّ القدّيس أفرام يترك العنان لأريحته الشعريّة ولعمق الإيمان في قلبه، ولهمّه الرعويّ، فيعالج أكثر من موضوع، بحيث يكون الكلام عن الإفخارستيّا في بضعة أشعار.

وأضفت إلى المواضيع حول الإفخارستيّا، موضوعين عزيزين. الأوّل، الإفخارستيّا والفردوس. هناك كانت ثمرة أولى قادت إلى البرّ والحياة. وهكذا ننتقل من آدم الأول إلى آدم الثاني، ومن حياة عتيقة رافقتها الرغبات البشريّة إلى حياة جديدة في البرّ والاستقامة. والموضوع الثاني، مريم العذراء والافخارستيا. في الافخارستيا نأخذ الجسد الذي حملته مريم في حشاها. ونشرب الدم الذي أخذه الرب من دمها.

هذه المحاولة العفويّة جاءت في مكانها. فنحن منذ الآن نستعدّ للاحتفال بالقدّيس أفرام الذي وُلد سنة ٣٠٦ تقريبًا، كما يقول العلماء. ولكن يبدو أنّ ابن العبريّ تحدّث عن ولادته سنة ٣٠٣. مهما يكن من أمر، فمار أفرام قيثارة الروح القدس نستطيع أن نعيّده كلّ سنة، بل كلّ يوم. فحين نقرأ أشعاره، نتأمّل في لاهوته، ونكتشف قراءته للكتاب المقدّس في قلب الطبيعة المخلوقة، فنغوص في حياة الإيمان التي تجعلنا نخرج من حياتنا العاديّة، إلى حياة أسمى على هذه الأرض تجعلنا نرى بعض ما في السماء.

القسم الأول

موضيع افرامية حول الافخارستيا

يتوزّع هذا القسم في خمسة مواضيع. الثلاثة الأولى ظهرت في المجلّة الكهنوتيّة في أعدادها الثلاثة سنة ٢٠٠٥. ثمّ أضفنا موضوعين اثنين. فجاء هذا القسم الأوّل كما يلي:

١- بين الإفخارستيّا وذبيحة الصليب

٢- الإفخارستيّا وحضور المسيح

٣- الإفخارستيّا واستعداداتنا

٤- الإفخارستيّا وجنّة عدن

٥- مريم العذراء والإفخارستيّا.

بين الإفخارستيّا وذبيحة الصليب

حين نعيد قراءة ما فعله الربّ في العشاء السرّيّ، يلفت نظرنا أوّل ما يلفت كسر الخبز. مثل هذه الفعلة في يد يسوع توجّهنا توجيهًا مباشرًا إلى ذبيحة الصليب. في هذا المجال نقرأ في أناشيد الفطير (٢ : ٧) ما كان يرتّل أفرام السريانيّ والمؤمنون في نهاية زمن الصوم المبارك:

كسر الخبز بيديه، على مثال ذبيحة يده،
مزج الكأس بيديه، على مثال ذبيحة أمّه،
ذبحَ وقرّب من هو ذاته كاهنُ غفراننا.

هذا ما شرحه أفرام في أناشيد نصيبين (٤٩ : ٢):

لو أنّه ما لبس جسدًا، ما كان ذاق الموت،
ولو أنّ جسده ما قُتل، كان كسرُ الخبز كذبًا.

وشدّد أفرام بشكل خاصّ على هذه الناحية في نشيد أفراميّ حُفظ لنا في اللغة الأرمنيّة (٤٨ : ٤١-٥٢):

في العليّة كان هو هو
من يعطي الجميع ويوزّع للجميع.
لا شكّ قتلَه ذاك الشعبُ،
بل هو قتل نفسه بيديه.
هو مقتول قتلته يداه،
وصلبه على الجلجلة هؤلاء الجهّال

لو أنّه ما قتل نفسه في السرّ،
ما كانوا في الواقع قتلوه.
في المساء قتل نفسه في الرمز،
ثمّ قتلوه في الغد.
سلّم جسده لذاك الشعب،
فهزئوا به كما أرادوا.

ذاك هو شعر أفرام مع تكراراته وتلاعبه على الألفاظ بحيث تدخل الفكرة عنده في العقول وفي القلوب. وإذ كتب ما كتب، أراد أن يبيّن أنّ ذاك العشاء هو ذبيحة بإرادة ذاك الذي فعل. يسوع هو الفاعل الرئيسيّ. هو الذي جعل نفسه تقدمة وذبيحة. فحياته لا يأخذها أحدٌ منه. بل هو يهبها. إنّه الكاهن ولا كهنوت بعده إن لم يشارك في كهنوته. وأوّل صورة في هذا المجال، صورة الحمل كما في إنجيل يوحنّا (١: ٢٩، ٣٧، ١٩: ٣٥-٣٦). هنا نعود إلى أناشيد الفطير (٦: ٩-١٠):

حملُ الله أكل الحمل الفصحيّ،
من رأى حملاً (هو يسوع) يقرّب حملاً؟
حملُ الله أكل الحمل،
من رأى حملاً يأكل حملاً؟

وفي الخطّ عينه، نقرأ في نهاية أناشيد الإيمان ما قيل عن تلك المرجانة:

تشبهين بطبعك حملاً صامتًا بسبب وداعته.
ومن ثقب الدرّة وعلّقها في أذنه،
كما الجلجلة، تُرسل كلّ نيرانها على الناظرين إليها.

والمسيح كاهن في الوقت عينه. وكهنوته يرتبط أوّل ما يرتبط بملكيصادق (الفطير ٢: ٨): أمّا حبريّة هارون فزالت:

لبس حبريّة ملكيصادق مثاله

خدمةً بلا ذبائح. وهب الخبز والخمر

فحلّ الحبريّة التي تعبت بالسكب.

ومتى تمّ انتقال السلطات الكهنوتيّة إلى المسيح؟ اعتاد الآباء أن يقولوا في المعموديّة، وبواسطة يوحنّا المعمدان الذي هو ابن زكريّا الكاهن (نشيد في رسامة الكهنة). أمّا أفرام فعاد أيضًا إلى تقدمة المسيح في الهيكل (لو ٢: ٢٥-٣٢):

تقبّله سمعان الكاهن بين ذراعيه

ليقرّبه لله. رأى ففهم

أنّه ليس هو من قرّبه،

بل هو قرِّب على يده.

قرّب عبدُ الآب الابن (الوحيد)

بل الابن للربّ عبده.

يستحيل أن يقرّبَ آخر

ذاك الذي به يقرَّب كلُّ قربان.

فالقربان لا يقرِّب مقرِّبه،

ولكنّ القرابين يقرّبها مقرّبوها.

فالذي يقبل القرابين بذل ذاته

ليقرَّب عن الجميع فيقرّب بيده المقرّبون.

كما أعطى جسده ليؤكل،

فيعطي الحياة لآكليه حين يأكلون،

كذلك أسلم ذاته ليقرَّب،

لتتقدّس بلمسه أيدي المقرّبين.

ومع سمعان، رأى أفرام عبر العهد القديم، رموزاً عن الإفخارستيّا، جاءت تلتجئ إلى الهيكل. ولمّا مات يسوع على الصليب وانشقّ حجاب الهيكل، خرجت كلّ هذه الرموز للقائه (الفطير ٦: ١١–١٢):

فكلّ الأسرار في قدس الأقداس،

انحلّت وانتظرت ذلك السرّ الذي يُتمّ الكلّ.

رأت الأسرار الحملَ الحقيقيّ:

شقّت الستار وخرجت للقائه.

وفي الخطّ عينه، نقرأ ما قيل في تفسير الإنجيل الرباعيّ:

«وجب أن يكون ربّنا مرفأ كلّ الخيرات الذي فيه تجتمع، وهدف كلّ الرموز التي إليه تتسارع من كلّ جهة، وكنز جميع الأمثال التي ترتفع كما بأجنحة فترتاح كلّها عليه بسلام».

وأوّل هذه الرموز هابيل. عنه يتحدّث أفرام في أناشيد الصلب (٢: ٨–٩):

٨ هذا الحمل الأوّل اختار لنفسه راعيًا أوّل،

باكورة للبكر، وسكب فيه من مُثُله،

وطبع فيه من صُوَره، وبسط عليه سرَّ قتله.

راعٍ هو هابيل وذبيحة. صوَّر فيه راعينا وذبيحتنا

رعايتَه وذبيحته. لك المجد يا مصوِّر أسراره.

٩ حملنا علّم هابيل أن تكون نفسه تامّة أمامه،

فيقرِّب الحملُ الحمل. يقرِّب أوّلاً نفسه

ثمّ يقرّب أيضًا الآخر، والحملُ هو من قُرِّب،
والحمل هو من قبل (القربان). الحمدُ لحمل الله!

ونقرأ توسّعات مماثلة من أجل رموز أخرى للإفخارستيّا في الأناشيد الأرمنيّة (٤٩–٥٠). يبدو أقرام هنا وكأنّه يعيد قراءة العهد القديم ليجد فيه تهيئة للسرّ الإفخارستيّ:

نتقدّس أحبّائي، ونقترب من خبز الحياة.
لا بفطير الشعب، ولا بحمل مصر،
لا نقترب من طيور السلوى، ولا من منّ البريّة،
ولا من خبز التقدمة، لأنّه (= خبز الحياة) يتفوّق عليها.
تلك كانت رموزًا وأشباهًا للآتيات،
والآن تمّت الأزمنة فتركت المكان لحقيقتنا.
لو أنّ الحقّ ما جاء: للبث الشرّ واستمرّ (٥٠: ١–١٠).

ونقرأ في النشيد ٤٩: ١٢ ي

افتخر الشعبُ اليهوديّ بمنّ البريّة
الذي أكله حتّى اللامختونون.
فكم بالأحرى نفتخر بخبز الحياة
الذي لا يحقّ به للملائكة.
ابتهج شمشون حين شرب ماءً في فكّ حمار!
فكم يبتهج من هو أهل لدمّ المسيح الثمين!
من الصخرة جرى الماء للشعب فشرب وتقوّى،
وللأمم، من جبل الجلجلة، جرى ينبوعُ الحياة.
بلمعة سيف قُطع الطريق إلى شجرة الحياة،
فأعطى ربّ الشجرة نفسَه للأمم طعامًا.

ولكن أين يتمّ هذا اللقاء الذي فيه تصل رموز العهد القديم إلى المسيح؟ في العلّيّة. هنا ذروة كلّ تاريخ شعب الله. هذا ما نقرأ في أناشيد الصلب (٣: ٩، ١٠، ١٢)

طوباك أيّها المكان!
صغرُك وُضع تجاه الخليقة كلّها.
ها هو فيك،
الخليقة كلّها مملوءة منه وهي صغيرة بالنسبة إليه.
طوبى لمسكنك
الذي في داخله كُسر هذا الخبزُ الذي من حزمة مباركة.
وبك عُصر العنقود الذي من مريم، كأس الخلاص.
١٠ طوباك أيّها المكان!
ما رأى إنسان ما رأيتَه أنت وما تراه.
صار ربُّنا المذبحَ الحقيقيّ،
والكاهنَ والخبز وكأس الخلاص.
هو بذاته يكفي لكلّ شيء، ولا يستطيع آخر أن يكفيه:
المذبح والحمل، الذبيحة والمذابح، الحبر والمأكل.
١٢ طوباك أيّها المكان!
ما أعدَّ أحدٌ مثل مائدتك بين الملوك،
ولا في خيمة الأقداس
حيث كان يُعدُّ خبز التقدمة.
فيك أوّلاً كُسِر هذا الخبز الذي صرتَ أنت كنيسته.
بكرُ المذابح الذي صار بكرًا بقربانه فيك ظهر في البدء.

تلك كانت نظرة أولى إلى علاقة العشاء السرّي بذبيحة الصليب، مع نظرة إلى الحمل الذي ذُبح يوم تلك الجمعة العظيمة ساعة كان يسوع يموت على الصليب ولا يُكسَر له عظم. والرموز في إطار تقدمة الخبز والخمر في العلّيّة، جاءت توجز تاريخ شعب الله. جاءت من الماضي لتلقي في المسيح الذي هو الفاعل الرسميّ في العلّيّة حيث قدّم ذاته في السرّ. وعلى الصليب حيثّ قدّم ذاته للآب في الحقيقة، فقال له منذ دخوله إلى العالم: ما شئتَ ذبائح ومحرقات، فقلت: ها أنا آتٍ لأصنع مشيئتك يا ألله.

الإفخارستيّا وحضور المسيح

تحدّثنا عن حضور المسيح وتقدمة جسده ودمه في العلّيّة، فاكتشفنا تاريخ شعب الله منذ آدم حتّى الصليب. والعامل الأساسيّ كان المسيح الذي فيه تلتقي جميع الرموز والوجوه في الأزمنة السابقة. وحين نصل إلى حضور المسيح في الإفخارستيّا، نرى عمل الروح الذي يميّز تمييزًا الليتورجيّات الشرقيّة. هنا يقودنا أفرام إلى عمق لاهوت نكتشف بعض تلمّساته في الفكر المسيحيّ الحديث:

في خبزك اختفى الروحُ الذي لا يؤكل،
في خمرك أقامت النار التي لا تُشرب،
الروح في خبزك، والنار في خمرك.
يا لعجب عظيم نالته الشفاه!

في هذا النشيد العاشر من أناشيد الإيمان، نلاحظ أنّ الروح والنار يدلاّن على الروح القدس. هذا ما يعود بنا إلى خبر حلول الروح القدس على التلاميذ، في العلّيّة ، يوم العنصرة. هناك نزل الروح كما في ألسنة من نار (أع ٢: ٣). وأورد أفرام في الإنجيل الرباعيّ (دياتسّارون) حاشية في إطار الحديث عن عماد يسوع:

«بالعماد ارتدى يسوع برَّ العهد القديم فنال ملء المسحة وأعطاها في ملئها وكمالها لتلاميذه. في وقت واحد، وضع حدًّا لمعموديّة يوحنّا وللشريعة. تعمَّد في البرّ لأنّه كان بلا خطيئة، وعمَّد في النعمة لأنّ البشر كانوا خطأة. ببرّه وضع حدًّا للشريعة. وبعماده دمَّر عماد يوحنّا»[١].

(١) SC 121, p. 94

ويتابع أفرام: «كثيرون تعمّدوا في ذلك اليوم، ولكنّ الروح نزل وحلّ على واحد فقط، لكي يميّز، بعلامة، ذاك الذي ما تميَّز في مظهره عن سائر البشر. وبما أنّ الروح نزل في عماده، فالروحُ أعطي في عماده» (ص ٩٥).

وما اكتفى أفرام بأن يقرّب العنصرة من العماد من أجل تدخّل الروح، بل عاد إلى تجسّد الابن ليربط عمادنا بالإفخارستيّا. هنا نواصل قراءة النشيد العاشر من أناشيد الإيمان:

ها النار والروح في حشا مريم
ها النار والروح في نهر العماد
النار والروح في عمادنا
وفي الخبز والكأس النار والروح.

هنا نلتقي مع لاهوتيّ كبير من القرن التاسع عشر في «أسرار المسيحيّة»: «اتحّد الروح القدس، روح الابن، بشكل حقيقيّ، بجسد المسيح الذي فيه يحلّ ويسكن. ويأتي إلينا في هذا الجسد ليتّحد بنا ويصل إلينا. ففي جسد الكلمة (لوغوس) الذي يملأ، نتقبّل الروح القدس في قلب الينبوع الذي يجري منه»[٢].

وبعد ذلك، يتجاسر بعضهم فيُنكرون وجود اللاهوت عند أفرام، وكأنّ اللاهوت يغيب حين تغيب مقالات المنطق وعلم القياس. فمن أدرى من الشاعر في الغوص في عمل الكلام عن الله. طُرح سؤالان ينطلقان من سفر الأمثال، الذي نسبه العالم القديم إلى سليمان، معلّم الحكمة:

من صعد إلى السماء ونزل؟
من جمع الريح في راحتيه؟

(٢) M.J. SCHEEBEN, *Mystères du Christianisme*, Bruges, 1947, p. 532.

من حصر المياه في ثوب؟

من أقام جميع أطراف الأرض؟

ما اسمه؟ ما اسم ابنه إن كنت تعرف (٣٠: ٤)؟

فأجاب أفرام متحدّثًا عن الإفخارستيّا، مع العلم أنّ اللفظ السريانيّ يعني الريح والروح:

من أمسك الريح في يديه، تعال وانظر

يا سليمان، ما فعله الربُّ أبوك.

النار والروح غلبا طبعهما:

مزجهما وصبّهما في أيدي التلاميذ.

هو تناول القربان في اليدين، لا على اللسان بعد أن أضاع التقليد السريانيّ عمقه الكبير، إذ كان المؤمن يأخذ القربان ويلمس به عينيه قبل أن يأكله، أو يأخذه «زادًا في السفر». ثمّ يشرب من الكأس. قال الربّ: خذوا وكلوا. خذوا واشربوا. إلى هذا الواقع أشار أفرام في أناشيد الإيمان ١٠: ١٤. فردّ على السؤال الأوّل حول الريح والروح. وفي ١٠: ١٥ ردّ على السؤال الثاني المتعلّق بالمياه:

من في حجاب أمسك الماء؟ سألوا.

حشا مريم نبعٌ في حجاب. أجَبْنا.

هي قطرات حياة في كأس الحياة

جمعتها خادماتك في أيادٍ محجوبة.

إنّ لفظ «حجاب» السريانيّ يعني أربعة أمور مختلفة: حجاب قدس الأقداس وإناء اللاهوت. حشا مريم الذي شبّهه أفرام بالشراع الذي تنفخ فيه الريح (أو الروح). شرشف المذبح الذي يُوضع عليه الجسد والدم. الحجاب الذي يحجب أيدي النساء حين يقتربن من التناول.

تحدّث أفرام هنا عن النساء اللواتي يتقبّلن في أيديهنّ المخفيّة بالحجاب (ش و ش ف ا) الخبز المقدّس الذي «خُتم»، وغمّس في الدم الثمين ليدلّ دلالة منظورة على اتّحاد عنصريْ الإفخارستيّا في الحياة وفي المجد، بعد أن صُوّرا منفصلين، مكسورين، مراقين. هنا نعود إلى القداس ورتبة الكسر والنضح حيث يقول الكاهن: نكسر، نختم... انفصل الجسد عن الدم، فدلّ هذا الانفصال على موت يسوع على المذبح. وانضمّ الجسد إلى الدمّ، فدلّ هذا الانضمام على مجد القيامة، وعلى أنّ هذا الذي يُرفَع الآن هو الإله الحيّ أبدَ الدهور.

ها القوّة اللامنظورة في حجاب «القدس»،

قوّة ما حبل بها روحٌ

أغنى حبّه، نزل، رفرف (ر ح ف)

على حجاب (شرشف) المذبح للمصالحة (١٠: ١٦).

في هذه القطعة، لمّح أفرام إلى حضور الله اللامنظور في قدس الأقداس. قرّر في حبّه، فنزل على المذبح حيث نجد حجابًا آخر، شرشف المذبح. هي قدرة الله التي لا تُنسب دومًا وبشكل خاصّ إلى هذا الأقنوم أو ذاك، والتي تتجلّى في عمل مميّز مع فعل رفرف، طار بخفّة كالعصفور، حضن البيض وأرخم كالطائر. نتذكّر هنا الروح الذي رفّ على المياه في بداية الخليقة، فأخرج منها الحياة (تك ١: ٢) بعد أن كانت عنصر الشرّ والموت كما في الطوفان. كما نتذكّر سفر التثنية (٣٢: ١١) الذي قابل الربّ بالنسر:

الذي يغار على عشّه،

وعلى فراخه يرفّ،

فيفرش جناحيه ليأخذهم (= صغاره)

ويحملهم على ريشه.

استعمل أفرام فعل «ر ح ف» للكلام عن المعموديّة كما عن الإفخارستيّا. وقد احتفظت به الليتورجيا للكلام عن الروح القدس الذي يرفّ ويحلّ على الخبز والخمر ليجعلهما جسد المسيح ودمه.

وتذكّر أفرام الإفخارستيّا حين أورد أحداث حياة يسوع، وإن بدت هذه الأحداث بعيدة عن الموضوع. فحين تحدّث عن مقتل أطفال بيت لحم والهرب إلى مصر، قال في أناشيد الميلاد (٢٤: ١٧):

حصد القاتلون في بيت لحم
أزهارًا بعدُ نديّة.
ليُهلكوا الزرعَ النديّ
حيث يحتجب خبزُ الحياة.
فهربت نبتةُ الحياة
وصارت حزمة في زمن الحصاد.
والعنقود الذي وُلد وحالاً هرب،
أسلم ذاته للمعصرة
ليعطي بخمره الحياة للنفوس.
المجد لك، يا كنز الحياة!

وعاد أفرام إلى خبر نازفة الدم، الذي ذكرته أناجيل ثلاثة (مت ٩: ٢٠-٢٢؛ مر ٥: ٢٥-٢٩؛ لو ٨: ٤٣-٤٨): إنّ شفاء هذه المرأة من نزف دمها، يُشير إلى شفاء النفس بواسطة الإفخارستيّا. هذا ما نقرأ أيضًا في أناشيد الإيمان (١٠: ٦-٧):

مثل تلك التي في خوفها تشجّعت وشُفيت،

اشفني من الهرب والخوف فأجد فيك الشجاعة.
يا ليت ثوبك يقودني
إلى جسدك، فأحسن التكلّم عنك.
ثوبك يا ربّ ينبوع عقاقير،
وفي لباسك تكمن قوّة محجوبة.
بعضُ التفل خرج من فمك،
فإذا النور في وسط الأوحال. يا للعجب العظيم!

فالإفخارستيّا هي التجسّد كما وصل إلى كلّ إنسان. هي الواقع عينه في لباس مختلف. ونقرأ أيضًا أناشيد الإيمان (١٠: ٢-٣):

من يستحقّ ثوبك، لباسَ ناسوتك؟
من يستحقّ جسدك، لباسَ لاهوتك؟
لك لباسٌ ولباسٌ، يا ربّ:
ثوب جسدك والخبز، خبزُ الحياة.
من لا يدهش من تبدّل ثوبك؟
جسدُك حجابُ بهائك وطبيعتك الرهيبة،
لباسُك حجابُ طبيعتك الضعيفة،
والخبز حجابُ النار الساكنة فيه.

ونعود إلى أبعد من الأناجيل، فنكتشف التواصل بين العهد القديم والعهد الجديد، ولا سيّما مع خبر إيليّا، الذي أنزل نارًا من السماء على الآتين من قِبَل الملك ليمسكوه. قال له القائد: «يا رجل الله، يقول لك الملك أن تنزل». فأجابه إيليّا: «إن كنتُ أنا رجل الله، فلتنزل نار من السماء، وتأكلك أنت ورجالك الخمسين». فنزلت نارٌ من السماء وأكلته هو ورجالَه الخمسين» (٢ مل ١: ٩-١٠).

انصبّت نار الغضب على الخطأة فأكلتهم،
ونزلت نارُ الرحمة في الخبز فأقامت فيه.
بدل تلك النار التي أكلت الرجال،
في الخبز أكلتم النار فوجدتم الحياة.

وسبق لإيليّا فصلّى إلى الله، فأرسل الله نارًا على محرقة جبل الكرمل «فالتهمت المحرقة والحطب والحجارة والتراب وحتّى الماء الذي في الخندق» (١ مل ١٨: ٣٨).

نزلت النار على تقدمات إيليّا وأكلتها،
وصارت نارُ الحبّ لنا تقدمة حياة.
النارُ أكلت التقدمة، يا ربّ،
ونحن في التقدمة أكلنا نارك (أناشيد الإيمان ١٠: ١٢-١٣).

ويرى أفرام أنّ دور الروح في التقدمة الإفخارستيّة مهمّ جدًّا. وممّا دفعه في انطلاقة شعريّة إلى القول بأنّنا لا نتصوّر مذبحًا من دون الروح. هذا ما نقرأه في الردّ على الهراطقة (٥: ٢٠):

ما رأى أحدٌ في وسط البحر،
قاربًا بدون ملاّح، يتحرّك ويتوجّه.
فكلّ قارب يحتاج (ملاّحًا)، والنفسُ حريّةَ،
والخليقة خالقًا، الكنيسةُ مخلّصًا،
والمذبح روحًا قدسًا.

ووصلت إلينا في الأرمنيّة قصائد. في الثامنة والأربعين، بيّن أفرام أنّ اللاهوت في البريّة، كان في الخيمة، لا في القلوب. أمّا في الكنيسة، بيت الصلاة، فالقدرة التي توجّه الكون بواسطة الروح القدس، تُقيم في كلٍّ منّا:

بعماد الروح القدس،
لنا شركة لغفران خطايانا.
قدرةُ الروح التي تُقيم في الخبز
تدخلُ فينا وترتاح[٣].

فكلّ عملٍ من أعمال المسيح هو أيضًا عمل الروح، الذي نال ملئه. هذا ما يعبّر عنه النشيد الثامن عشر من أناشيد الإيمان، الذي موضوعه: رموز الإيمان والثالوث والصليب، في الطبيعة المخلوقة. في المقطع السابع، بيّن أفرام فقال: على قارب في البحر، كلّ إنسان، أيًا كان، سواء كان لا مؤمنًا أو يهوديًا، يرتبط بشيئين: بالسارية التي تتعلّق بها العارضةُ بشكل صليب. فالإنسان لا يستطيع أن ينطلق إن لم يكن الصليبُ على قاربه. ويرتبط الإنسان أيضًا بالشراع الذي يتدلّى مثل جسمٍ يُشبه جسد المسيح:

حين يمدّ القارب مجاذيفَه بشكل صليب،
يكوّن بعوارضه المصلّبة حشا للرياح.
وحين يمدّ الصليب للإنطلاق،
تتفتّح أمامه الطريق.

أجل، الموقف الأساسيّ الأوّل: أن يكون الإنسان في شكل صليب. فهو لا يعطي ما عنده، ولا ينجح في حياته، إلاّ إذا جعل نفسه في شكل صليب. ذاك هو الإطار الأساسيّ. ولكن، أما هناك حياةٌ في هذا الإطار؟ هذا ما يفعله الروح القدس الذي يُعطى في الإفخارستيّا (أناشيد الإيمان ١٨: ١٠):

يا حشا الشراع النقيّ، يا رمز جسد فادينا.
امتلأتَ من الروح (ر و ح ا، والريح أيضًا) الذي فيك بلا حدود.

---

(٣) Patro. Or, t. 30, p 223 (48: 29)

فمن الروح الذي يقيم في شراع من الكتّان،
تنال حياةً أجسادٌ تقيمُ فيها النفس.

فالروح يلعب في المعمَّدين الدور الذي تلعبه النفسُ في الجسد، والريحُ في الشراع. الروح هو نفسُ نفوسنا وهو يُقيم أيضًا في ملئه، في جسد الفادي وفي الجسد الإفخارستيّ. ولكن بعد القيامة، لن يبقى هذا الجسد الممجَّد محصورًا في الزمان وفي المكان. من أجل هذا، ينتشر الروحُ في الأرض كلّها.

أورد واحدٌ من كبار اللاهوتيّين في سويسرا هذا المقطع الأفراميّ وشرحه كما يلي: «الروحُ القدس حقيقةٌ يجهلها الفقهاء والفلاسفة الذين يدرسون الديانات المقارنة، أو هم «يجعلونها بين قوسين، في شكل موقَّت»، فكأنّ الوقت لم يَحُن بعد. يبقى أن نعرف لماذا في هذا الشراع، «هبَّت ريحُ تاريخ العالم»[٤].

(٤) Hans Urs Von BALTHAZAR, *La Gloire et la Croix*, I, p. 418.

سرّ الإفخارستيّا واستعداداتنا

نشترك في ذبيحة المسيح. نكتشف حضوره بقوّة الروح القدس. أمام هذا السرّ العظيم، ما الذي تكون عليه استعدادات المؤمنين للمشاركة في الإفخارستيّا وتقبّلها.

نبدأ فنورد مقطعًا من أناشيد الإيمان (٦: ٤):

في الخبز تؤكلُ قوّة لا تُحرَق،

في الخمر يُشرَب عزمٌ لا ينفد.

أمّا في الأناشيد حول البتوليّة (٣٧: ٢) فنجد تشديدًا على اتّجاه شبه مادّيّ:

بوسيلة جديدة امتزج جسدُه بأجسادنا،

ودمه النقيّ النقيّ سرى في عروقنا.

صوتُه اجتاح آذاننا، وبهاؤه عيوننا،

برحمته امتزج كلّه بكلّنا.

أحبَّ كنيسته أحبّها، فما أعطاها من «طرّتها» (الزوجة الخائنة)

صار هو لها خبز الحياة فأكلته.

فالإفخارستيّا ضروريّة لكياننا الروحيّ، بقدر ما الهواء للجسم. بدون الهواء نموت. وكذلك بدون الجسد والدم. هنا نقرأ أناشيد الميلاد (٤: ١٥١-١٥٢):

لا يحيا إنسان بدون نسمة الهواء،

وبدون قوّة الابن لا يقوم إنسان.

بنسمة الحياة لدى محيي الكلّ،
ترتبط النسماتُ العلويّة والأرضيّة.

كما نقرأ في أناشيد الفطير (١: ١٠):

كما آدم قتل الحياة في جسده،
بهذا السرّ، بالجسد الذي يكمّل الكلّ،
يكمُل الأبرار وينال الخطأة الغفران.

وتتكرّر عبارة «دواء الحياة» التي كانت عزيزة على قلب المسيحيّين الأوّلين.. فنقرأ مثلاً في أناشيد نصيبين (٣٤: ١٠) ما قيل عن الطبيب:

ما قدر الأطبّاء شفاء المرضى بأدويتهم،
فرأى الطبيب القادر على كلّ شيء وتحنّن.
قطع من جسده وجعله على جراحنا،
وبجسده شفى ألمنا ودمه.

نلاحظ هنا ما يُقال عن شفاء يمرُّ في الجسد فيصل إلى أسمى من الجسد، يُدرك النفس. أي عمق الإنسان، فيعلّمه ويؤدّبه. فهذا الخبز الذي امتلأ بروح المسيح، هو معنا لكي يروحننا، لكي يعطينا الروح. وهكذا نبتعد عن الصور المادّيّة، دون أن نتخلّى عنها تمامًا. من أجل هذا، نقرأ أناشيد الميد ٤: ٨٧ي:

سنبلة الحقّ الواحدة أعطت خبزًا،
الخبز السماويّ الذي لا حدَّ له.
الخبز الذي كسرَه البكرُ في البرّيّة،
فنيَ وعبرَ مع أنّه تكاثر.
فعاد وكسر خبزًا جديدًا
لا تفنيه الأجيال والشعوب.

فنيتْ سبعُ خبزات كسرها،
وخمس خبزات كثّرها فنفدت.
خبزٌ واحد كسره، غلب المسكونة،
تقسمه وتقسمه فيكثرُ إكثارًا.
ملأ الجرار خمرة فائضة
استقوا منها فنفدت وهي كثيرة.
قليلاً كان الشراب في الكأس التي وهب،
أمّا قوّته فعظيمة، عظيمة، لا حدّ لها.
كأسٌ تقبّلت جميع الخمور،
والسرُّ الذي فيها هو هو.
وأخذ هو الخبز الذي كسر، لا خاتمة له
ولا حدود لكأس واحدة مَزج.
حنطةٌ زرعت ثلاثة أيّام،
صعدت فملأت أهراء الحياة.
الخبز روحانيّ مثل واهبه،
يُحيي أهل الروح حياة روحيّة.
من أخذ منه آخذًا جسدًا،
باطلاً أخذ وما استفاد.
خبزَ الحنان تَميّزَه
العقلُ، أخذه دواء الحياة.
ذبائح الموتى باسم الشياطين
تُذبَح في السرّ وتؤكَل أيضًا.

فالقدس الذي فُرز، كم ينبغي لنا
أن نخدم سرّه خدمة الطهر.
من يأكل من الذبيحة باسم الشياطين،
هو بلا جدال، من الشياطين.
من يأكل من خبزه، خبز السماء،
هو بلا نزاع، من السماء.

في هذا المجال يقرأ القدّيس أفرام نصّ مت ٢٤: ٢٨: «حيث تكون الجثّة، هناك تجتمع النسور». ويقدّم تطبيقًا شخصيًّا في أناشيد الفطير (١٧: ٩ي).

الخبز الروحيّ يجعلنا نرتفع، نطير،
وطارت الشعوب إلى الفردوس وهناك أقامت...
حيث جسدُ آدم الثاني،
قُربَه اجتمعت النسور الجائعة.
بالخبز الروحيّ يصير كلٌّ منّا
نسرًا يبلغ إلى الفردوس.
من يأكل الخبز الحيّ، خبزَ الابن،
يطير إلى لقائه كما على السحاب...
صورة خبزه نقلت إيليّا،
فكم ينقل الخبزُ نفسُه الشعوب إلى عدن.

وهكذا يكون على الخليقة الجديدة أن تأخذ «طبيعة» روحيّة، مثل الملائكة. في هذا المجال نقرأ أناشيد الإيمان (١٠: ٩ي)

حين انحدر الربّ على الأرض، لدى المائتين،
جعلهم مثل الملائكة، خليقة جديدة.

مزج فيهم النار والروح،
ليصيروا نورًا وروحًا، بشكل غير منظور.
ما لمس السرافيم الجمرة بأصابعه،
بل من فم أشعيا قرّبها.
هو ما أخذها، هو ما أكلها،
والربّ أعطانا أن نأخذ ونأكل.
خدم إبراهيم ملائكة الروح،
فأكلوا طعام الأجساد،
وربّنا صنع معجزة كبيرة، جديدة:
أطعم المائتين النار والروح، وسقاهم.

حين تَدخُلنا النار، وحين يلجنا الروح، نصبح نحن من نار وروح، أي مشاركين في طبيعة الله وفي حياته. وهكذا تكون الإفخارستيا، ذاك الطعام الروحيّ، استباقًا للفردوس، حيث دعا يسوع اللص فقال له: «اليوم تكون معي في الفردوس» (لو ٢٣: ٤٣). فالوصف الذي يقدّمه أفرام بألوانه وغناه، يتطلّع فقط غلى الأمور الروحيّة

خبز يمنحنا السلام. يجدّد حياتنا كما يقول المزمور: «يتجدّد مثل النسر شبابك» (مز ١٠٣: ٥). ونقرأ من أناشيد الفطير (٢: ٦):

ها هي ضحيّة السلام،
تضع السلام في العلى وفي الأسافل،
بالدم الذي يعطي الجميع السلام.

فالإفخارستيّا التي توّلهنا، تمنحنا أولى عطايا الله التي منحها لتلاميذه ليلة آلامه: سلامي أعطيكم. وإذ هو يعطي السلام، يبيد العدوّ الكبير، يبيد الموت. هذا ما نقرأ في أناشيد الإيمان (١٠: ١٨):

قتل خبزُك الوحش الذي جعلنا خبزَه،
وكأسُك دمَّرت الموت الذي ابتلعَنا.
أكلناك يا ربّ، وشربناك،
لا لنأخذك لنا، بل لنحيا منك.

إذا كانت الخطيئة تجعل الإنسان ناشفًا، يابسًا، وفي النهاية شيخًا تتآكله السنون، فهذا الخبز يعيد إلى المؤمن الشباب. هو سرّ التجديد.

تجاه الحياة التي بها الكلُّ يشيخ...
طوبى للخبز الذي يجعل كلَّ شيء جديدًا (الصلب ٢: ٥)

هل يعني هذا أنّ من يبدّل ثوبه يتجدّد؟ حاشا. فالحيّة تبدّل جلدَها كلّ سنة، ومع ذلك هي تشيخ وتشيخ، وإن بدت «في حلّة جديدة»:

بدّلت الحيّةُ جلدها وتجدّدت،
وكلّ مرّة يقشر جلدها في الخارج،
يشيخ في الداخل (الفطير ١٨: ٨)

ويُقابَل هذا الجديد مع الخبز الفطير في أناشيد الصلب (٢: ٤):

أمر الحمل عن صورته أن نأكله مع الفطير،
خبز جديد، جسد جديد، ليصوّر سرّ تجديده
فخمير حواء انتشر، خميرة عتيقة بها الكلُّ شاخ.
الكلّ شاخ والكلّ باد، وبالفطير تجدّد الكلّ.
زال الفطير الذي يجعل الكلّ عتيقًا
طوبى للخبز الذي يجعل الكلّ جديدًا.

فمن أراد أن يقتبل هذه العطايا السماويّة، وجب عليه الاقتراب منها بالقداسة، بالمخافة، بالرغبة الحارّة. هذا ما يقوله مديح أفراميّ حُفِظ لنا في الأرمنيّة (٤٨: ١، ١١، ٣٧):

١ بقداسة نأكل الجسد الذي ثبّته الشعبُ بالمسامير،
ونشرب دواء حياةٍ، الدم الجاري من جنبه...
١١ بقلب تقدّس اقترب التلاميذ،
ومثلهم يقترب منه كلّ إنسان...
٣٧ جعل نفسه صغيرًا بقياس من يقتبل،
لتجعل المخافةُ مسكنَه حيث يسكن ابنُ القدوس.

فإذا أردنا أن نستعيد استعدادات المخافة والقداسة، نعود إلى العلّيّة، ونرافق المسيح في العشاء السرّيّ. يعني نعيش معه آلامه من جديد، نكون معه ذبيحة حيّة. ونقرأ في شرح الإنجيل الرباعيّ: «كان لأحبّائه، بفضل الحبّ والمخافة، وسيلةٌ أخرى للوصول إليه. حين يأكلون خبزه الأسراريّ، يخضعون أيضًا للآلام. فليعلّمْ آكليه أن يحكموا على جسدهم بالآلام مع آلامه، لكي يفرحوا في آلامهم كما فرح هو في آلامه».

إنّ ذروة حياة يسوع كانت تقدمته على الصليب. وذروةُ حبّنا له تكون في تقدمة ذاتنا له. «يا أبا الحقّ، ها هو ابنك ذبيحة ترضيك... ها هو دمه المراق على الجلجلة يتوسّل من أجلي». ذاك كان نشيد القدّيس شربل حين سقط على المذبح. في نهاية حياته، فكان حقًّا تلك الضحيّة التي يريدها المسيح من كلّ محبّيه. كلّ هذا صدى للنشيد الأفراميّ الذي وصل إلينا في اللغة الأرمنيّة (٤٩: ١–٥):

تعالوا، إخوتي، نقترب من هذا الجسد
الذي يُعطي كاهنُنا.
لتكن المخافة على شفاهنا،
حين نتقبّل دواء الحياة هذا.
مبارك من أعطى جسده،
من أجل الغفران لجميع المؤمنين.

ساعة يُكسَر الجسد المقدّس
نتذكّر ذبحه،
لتكن أعضاؤنا كلُّها في المخافة
حين يُذبَح ابن الله.
سرُّه توزّع على المذبح،
ونحن نشاهد موته
أخطر من كلّ ساعة،
ساعةُ ذبحه.
ننظره بعيون مغلقة،
معلّقًا على الخشبة نراه،
فتشاهد عيونُنا الدم
الذي جرى من جنبه.
في مخافة وحبّ نقترب من دواء الحياة
مثل أناس تميّزوا.
يضطرب قلبُنا بموته،
وترغبُ نفسنا في سرّه.

في المخافة والحبّ، لا يفصل أفرام هذين الاستعدادين. هما دومًا معًا. حاولت القرون الوسطى أن تحتفظ من أفرام بصورة الناسك المغتمّ، الذي يرى صواعق الدينونة الآتية! ولكنّهم نسوا عواطف الحنان والحبّ للمسيح، للعذراء، للقدّيسين. ففي أناشيد الفردوس مثلاً، نكتشف لدى المسيح وجهين: وجه الحبّ ووجه العدل. ولكنّ أفرام ينشد أكثر ما ينشد لطف الله ورحمته. والدليل إلى ذلك ما نقرأ في النشيد ١٦ من أناشيد الميلاد، حيث تشكر مريم ابنها وتناغيه:

لا أغار يا ابني أن تكون معي، وتكون مع الجميع،
كن الإله لمن يعترف بك.
كن السيّد لمن يعمل لك،
كن الأخ لمن يحبّك،
فتعطي الحياة للجميع.
حين حللتَ فيّ،
حلّت عظمتك فيّ وفي الآخرين.
وإذ ولدتك ولادة جليّة،
ما فارقتني قوّتك الخفيّة.
أنت منّي في الداخل، أنت في الخارج،
يا لدهشة أمّك!
حين أرى من الخارج صورتك أمام عينيّ،
في ضميري تُصوِّرُ صورتُك الخفيّة.
في صورتك الجليّة رأيتُ آدم
وفيك أيّها الخفيّ،
رأيتُ أباك الممزوج بك.

لقد أرادت مريم أن تضمّ جميع البشر إلى الكرامة التي نالتها. فهذا الذي تراه نائمًا في المذود، هو الإله الخفيّ. ما أتيح للجميع أن يروه في بيت لحم، مثل الرعاة والمجوس. ولكنّهم يستطيعون أن يروه في خبز الإفخارستيّا، ويتقاسمونه طعامًا لهم ودواء لحياتهم. ويتواصل نشيد مريم:

لي أنا وحدي بيّنتَ جمالك في وجهين.
الخبز يصوّرك والضمير
فيّ في الخبز وفي آكليه،

تراك كنسيتكُ في الخفاء والجلاء،
كما والدتُك تراك.

لهذا تكون مريم لنا المثال في طريقة إكرامنا للإفخارستيّا. فالبشر انقسموا خلال حياة يسوع، بين الحبّ والبغض، بين مريم والتلاميذ من جهة، وبين الكتبة والفرّيسيّين من جهة ثانية. والقسمة ما زالت حاضرة أمام جسد الربّ ودمه. ويتواصل نشيدُ الميلاد، حيث تقول مريم:

من أبغض خبزك شابه من أبغض جسدك
فالبعيد الذي يحبّ خبزك،
قريبٌ ممّن أحبّ صورتك.
الأوّلون رأوك والآخرون
في الخبز والجسد.
وقورٌ خبزك، يا ابني، أكثر من جسدك،
جسدك رآه الكفّار أيضًا
وما رأوا خبزك الحيّ.
فرح البعيدون
فغلبوا القريبين، يا لحظّهم:

وننهي كلامنا بالمقطع السابع الذي يُوجز بشكل عجيب معنى المناولة، ويصوّر الاستعدادَ الباطنيّ في الحبّ والإيمان، في قلب الآتين إلى المناولة:

صُوِّرتْ صورتك بدم العنب
فوق الخبز (في الكسر والنضح).
وصُوّرت على القلوب بإصبع الحبّ،
بألوان الإيمان وصباغه.

مبارك من أحلّ صورة الحقّ
محلّ الصور المنحوتة.

تلك هي المحطّة الأخيرة بعد محطّتين جاءتا قبلها. فبعد الوجهة الذبائحيّة في الإفخارستيّا، المرتبطة بالصليب، كان كلامٌ عن حضور المسيح بفعل الروح. كما في حشا مريم، كذلك في الإفخارستيّا. والآن، توقّفنا عند الاستعدادات المطلوبة، من الذي يقترب من الإفخارستيّا، وعند الثمار التي ينالها. وأي ثمار! نشارك المسيح في موته فنشاركه في قيامته. نشاركه في آلامه فنشاركه في مجده. وهكذا نكون مع الربّ كلَّ حين.

الإفخارستيّا وجنّة عدن

حين نقرأ الكتاب المقدّس، نحسّ بالمرارة أمام الفردوس وجنّة عدن بعدما حصل لأبوينا الأوّلين ما حصل. ولكنّ الأمر يختلف عند أفرام السريانيّ. لا شكّ في أنّ البشريّة هُزمت وعرفت التعب والألم. ولكنّ صليب يسوع أصلح هذه الخطيئة بعد أن كفّر عنها. والجسمانيّة أعادت الفردوس إلى آدم الذي تمرّد: فيه أطاع يسوع أباه السماويّ. كما قال أفرام في النشيد الثامن من أناشيد الصلب:

طوباك أيّها المكان،
صرتَ أهلاً لعرق الابن الذي سقط عليك،
بالأرض مُزج عرقه،
ليزيل عرق آدم العامل على الأرض.
طوباها أرضًا تعطّرت بعرقه،
وشُفيت، وهي المريضة، لأنّ عليها عرق.
من رأى يومًا مريضًا يُشفى بعرق ليس عرقه.

فقبر يسوع والبستان الذي دُفن فيه رمزٌ إلى عدن الجديد، كما في الصلب ٨: ١٣:

قبره وجنّته هما رمز عدن،
التي فيها مات آدم موتًا خفيًّا.
هرب واختبأ بين الأشجار،
وكما في الخبر دخل وتوارى
الحيّ المقبور الذي انبعث في الجنّة،

أقام هذا الذي سقط في الجنّة.

من قبر الجنّة إلى وليمة الجنّة، أدخله في المجد.

عادت حوّاء إلى الجنّة، وآدم إلى الفردوس، وأزهار الفصح هي أزهار عدن كما قال أفرام في أناشيد القيامة (٢: ١):

مركبةً صار لي ناموسك، وهو يكشف عن الفردوس،

ومفتاحًا صار لي صليبك، وقد فتح الفردوس.

من جنّة عدن حملتُ. وقطفتُ، وأتيتُ من الفردوس

بوردٍ وزهورٍ ناطقة نُثرت في عيدك

مع أناشيد على الناس. مبارك من كلّل وتكلّل!

وهكذا صار عدن يدلّ على السعادة التي يصل إليها المتناولون (فطير ١٧: ١٧):

إن كان سرُّ خبزه جعله هكذا يطير،

فكم جعل الشعوب تطير إلى عدن.

وعدن الجديد هذا يعارض كلّ التعارض الشيول، مثوى الأموات، الذي هو ثمرة الخطيئة. نقرأ في أناشيد الفردوس (٦/١٩: ٣):

لأحبّائه عدن،

والشيول لأعدائه.

في هذا الإطار، تُبرز أمامنا محطّتان. الأولى تربطنا بآدم الذي أكل، وبالمسيح الذي أطعَمنا. هذا بارك الآب وأكل، أمّا آدم فتجاوز الشريعة وما بارك الله. نقرأ في الإنجيل الرباعيّ، أو الدياتسّارون: «بما أنّ آدم ما بارك الثمرة حين تمرّد وقطفَها، بارك الربُّ الخبز وكسره. والمحطّة الثانية، تجعل حوّاء ومريم تجاه الإفخارستيّا. هذه أعطتنا خبز القوّة، وتلك خبز التعب.

١ - آدم والمسيح

نبدأ هنا ونقرأ النشيد الثالث حول المائدة.

يكفي أبانا آدم أن يشابه الحيوانات.

أكلَ الثمرة وما سبَّح، فسبِّحْ أنت على كلّ شيء.

غير أنّ الإفخارستيّا كفّرت خطيئة آدم. قال أفرام في الدياتسّارون (١٩ : ٤):

«منذ كسر جسده لتلاميذه وأعطاه لرسله، نحسب ثلاثة أيّام، حُسِب فيها بين الموتى مثل آدم. فمع أنّ آدم أكل من ثمرة الشجرة، إلاّ أنّه عاش بعد ذلك زمنًا طويلاً، وكان في عداد الأموات لأنّه تجاوز الوصيّة... وبما أنّ آدم ما بارك ثمرة قطفها في تمرّده، بارك ربّنا الخبز وكسره، ودخل الخبز فيهم (= التلاميذ) فعوّض الشهوة التي بها رفض آدم الله».

وقابل أفرام هنا بين عشاء يسوع الأخير وعدن. والمقابلة واضحة بين المكانين (العلّيّة والفردوس الأرضيّ)، بين الأشخاص (آدم من جهة، ويسوع والرسل من جهة ثانية) وبين العملين (المسيح بارك، آدم أهمل). أعادت العلّيّة النظام كما كان بعد أن تجاوزه الإنسان. وعادت الصداقة في الشكر والمديح.

نحن نعرف أنّ أكل الثمرة كان السبب المباشر لإغلاق باب الفردوس. ولكنّه فُتح من جديد حين فُتح جنبُ يسوع بالحربة. السبب ليس الثمرة التي هي شرّيرة في ذاتها، وليس السبب الخطيئة. فالخطيئة هي نتيجة عصيان الإنسان، والثمرة وسيلة استعملها إبليس ليدفع آدم إلى الخطيئة، كما في الفردوس (١٥/١٢ : ٦):

هكذا في الفردوس،

المحتال قتل بالثمرة الطيّبة

هذا الولدَ البسيط.

من أجل هذا، تبقى الثمرة وسيلة الخلاص. هذه الثمرة هي جسد المسيح المعلّق على الصليب كما نقرأ في أناشيد القيامة (١: ٦):

من العلاء جرى كالنهر، ومن مريم كجذع يسّى.

من الخشبة نزل كالثمرة، وكالبكر صعد إلى السماء.

إذًا، هناك صلاح الثمرة الموجودة على كلّ شجرة، كرمز لجسد المسيح. نقرأ في أناشيد الإيمان (١٨: ١٤):

ها سرّك في قطيعه الذي يُحفَظ بعصاك،

وفي كرمه عنقود امتلأ من سرّ دمك.

وفي شجرته تعلّقت ثمرة،

سرّ خشبتك وثمرة جسدك.

وهكذا تكون الإفخارستيّا، النمط المقابل لثمرة آدم. فالجسد الإفخارستيّ شأنه شأن الجسد في العشاء، لا يُلمَس كما لمست حوّاء الثمرة. قال أفرام في الدياتسّارون (٢١: ٢٦) شارحًا أمر يسوع للمجدليّة: لا تلمسيني:

«جسده كان ثمرة الأسافل المبكرة... ولكن لأصدقائه بفضل الحبّ والمخافة، سبيلاً آخر للوصول إليه. هناك يأكلون جسده الأسراريّ، ويخضعون هذا الجسد للآلام أيضًا، ليعلّم هذا الجسدُ آكليه أن يحكموا على جسدهم مع جسده بالآلام، بحيث يفرحون في آلامه (حاشه) كما فرح هو. وقال بعضهم: ما أراد ربُّنا أن يُلمس لأنّ مريم (المجدليّة) لم تكن بعد تقبّلت سرّ جسده ودمه. وهكذا بيّن أنّ مُعاديه لا يستطيعون بعدُ الاقتراب من سرّه، مثل الإسخريوطيّ، بل أيضًا بعضُ أصحابه، مثل مريم، الذين لم يُطبَعوا بعد بختم (العماد). هذا الجسد الذي مدّت إليه حوّاء يدها، فأخضعها للموت ولسائر أنواع العذاب».

حين قام المسيح، قتل الموت حين أخذه وما تهرّب منه. وإذا أراد أن يُشركنا في هذه القيامة، أعطانا ما يعارض الثمرة سبب الموت. أعطانا جسده. وفي نظرة واحدة، ضمّ أفرام عدن والكنيسة والحياة الجديدة التي تعطى للمؤمنين، فقال في الدياتسّارون (٢١: ٢٥):

«ونقول أيضًا: إذا كان آدم مات بسبب الخطيئة، فيجب على من أزال الخطيئة أن يأخذ أيضًا الموت. وكما قيل لآدم، يوم تأكل من الشجرة موتًا تموت (تك ٢: ١٣)، وبما أنّه ما مات يومَ أكل، ولبثت فكرة الموت تراوده طوال حياته. هكذا نأكل نحن أيضًا الحياة في المسيح، نأكل جسده بدل ثمر الشجرة ويحلّ مذبحُه لنا محلّ جنّة عدن، وتُغسل اللعنة بالدم الزكيّ، ومع رجاء القيامة، ننتظر الحياة الأبديّة.

في هذا الإطار كان نشيد الفردوس السادس، في القطعة الثامنة:

جماعة القدّيسين (= الكنيسة) صورةُ الفردوس،
نقطف فيها كلّ يوم ثمرة تحيي الجميع.
عنقود العنب، يا إخوتي،
دواءُ الحياة، هنا نعصره.
عرجت الحيّة، قُيّدت لأنّها لُعنت،
وأغلق فمُ حوّاء في صمت مفيد.
ولكن بالنسبة إلى خالقها،
صار هذا الفم أيضًا لله قيثارة.

وتابع التوازي المعارضَ، النشيد (٣: ٤) من أناشيد البتوليّة:

ربيَت سنبلةُ الحسن بين الزؤان البغيض،
وهبت خبزَ الحياة، بدون تعب، للجائعين.
هي حلّت اللعنة التي فيها أُسر آدم
الذي أكل في عرق (الجبين) خبز الآلام والشوك.

طوباه من أكل من ثمرة المبارك،

وأجاز عنه اللعنة.

وكيف ألغيت هذه اللعنة؟ «حكم الله على آدم بالموت بسبب تجاوز الوصيّة، وأتى ابن الله، وبوعد القيامة الذي وعد، ألغى الحكم الذي لاحق الإنسان منذ الفردوس» (تفسير التكوين ٤٩: ٣-٤).

ويواصل أفرام كلامه، فيعلن أنّ ما خسرناه بفعل حوّاء، بسبب عمل الحيّة، نستعيده في الإفخارستيّا التي تربطنا بالله وبمجده، وتمنحنا اللباس الإلهيّ. هنا نعود إلى أناشيد الميلاد (١٧: ٦) حيث تقول مريم:

كانت حوّاء وكرًا وقبرًا للحيّة الملعونة،

فدخلت فيها النصيحة الشرّيرة وأقامت.

كانت لها طعامًا لأنّها صارت ترابًا.

فأنت هو خبزنا، وأنت جناننا ولباسُ مجدنا.

كانت الثمرة سببًا في موت البشريّة. وأتت الإفخارستيّا فأعادت الحياة. هذا ما يقوله نشيد ليتورجيّ يُتلى عند المناولة، وقد نُسب إلى مار أفرام:

أنتم، يا من قتلتكم ثمرةٌ في عدن،

وجدتُم الحياة مجّانًا، بفضل ثمرة واحدة.

مدّ آدم يده وأخذ ثمرة يختفي فيها الموت،

مدّوا أنتم أيديكم وتقبّلوا خبزًا يحمل الحياة.

٢- حوّاء ومريم

جاء الكلام عن حوّاء. وها نحن نرافقها كما نرافق مريم التي أعطتنا جسد المسيح، وبالتالي أتاحت لنا أن نشترك في الجسد والدم. فهي في الميلاد، قابلت بين المسيح وبين آدم، حيث للمسيح صورتان: واحدة من

آدم وأخرى من الله. هذا ما قالته في نشيد ١٦ : ٣ من أناشيد الميلاد:

أرى صورتك الظاهرة أمام عينيّ،
وفي وجداني صورتك الخفيّة.
وفي صورتك الجليّة رأيت آدم،
وفي الخَفيّة، رأيتُ أباك الذي مُزج بك.

وسبق فأبنّا العلاقة بين حوّاء ومريم في ١٧ : ٦. وقد رأى أفرام في خبر عدن سقوط حوّاء. ولكن على الصليب، انتصرت مريمُ بقدرة الله. هذا ما نقرأ في الدياتسّارون (١٠ : ١٣)، في شرح كلام الربّ: «رأيتُ الشيطان ساقطًا من السماء مثل البرق»:

«هذا لا يعني أنّه كان في السماء... وهو ما سقط من السماء، كما أنّ البرق لا يسقط لأنّ الغيوم تنتجه... وكما أنّ البرق يخرج ولا يعود إلى الموضع الذي منه جاء، كذلك سقط الشيطان وما عاد يجلس على عرشه... أنزلت العدالةُ حوّاء تحت العقب، والرحمة رفعت العقب بفعل الصليب، ليكون (هذا العقب) أقوى من الحيّة... أزال ربّنا الضلالة التي ملكت بسبب الحيّة، لكي تملك -حقيقة ذاك الذي أعطى القدرة على الحيّات والعقارب (لو ١٠ : ١٨) لكي تدوسها الأرجل فتكون مليكة عليها. ضربت الحيّة حوّاء في عقبها، فسحقته رجلُ مريم».

ونقرأ هذا التقَابل على مستوى الخبز أيضًا، في إطار ليتورجيّ، كما في أناشيد الفطير (٦ : ٧):

وهبت لنا مريم الخبز اللذيذ،
بدل خبز التعب الذي وهبته حوّاء.

كلّ الرمز يستند إلى فعل وهب (ي هـ ب) أعطى. حوّاء أعطت آدم، والكنيسة تعطينا ما أعطتنا مريم يوم الميلاد (الفطير ٦ : ٦):

وهبت لنا البيعة الخبز الحيّ،

بدل هذا الفطير الذي أعطته مصر.

هنا نقرأ أناشيد البتوليّة (١١: ١١-١٤):

العنقود يعذّب أيضًا رِجل دائسيه،
بدمه يُغسل الوصمة،
وبمرارته يحلّيها.
وإن هو صار له عتيقًا،
جعله عذبًا بخمره.
حين تُؤكَل الثمرة، لها طعم الألم،
تصبُّ داخل الفم سرَّ تلك الثمرة.
حين يُؤكل جسدُه يُحيي آكليه.

وكما يتعذّب الدبس حامل الحلاوة للجميع،
حين «فُلح» ربُّك قوّةً لآكليه
أعطى، عذوبة للأصحّاء وللمرضى طعامًا.

الخاتمة

اعتاد أفرام أن يرجع إلى العهد القديم ليكتشف فيه صورًا تقرّب حقائق العهد الجديد والكنيسة، من آذان السامعين ووجدانهم. وهذا ما فعله حين قارب بين الإفخارستيّا من جهة، والفردوس وجنّة عدن من جهة ثانية. انتقل من ثمرة تحمل الموت إلى ثمرة تحمل الحياة. ومن آدم الذي جاء باللعنة، إلى المسيح الذي أزال لعنة الموت والخطيئة حين سمّرها في جسده على الصليب. وفي النهاية، كانت مريم تجاه حوّاء، وهي التي أعطتنا الثمرة التي

تحدّثت عنها إليصابات حين جاءت تزورها مريم العذراء: «مبارك ثمرة بطنك». على ما نقرأ في أناشيد الميلاد (٦: ١٦):

هتفت العاقر كما اعتادت: من وهب لي
أيّتها الطوباويّة، أن أشاهد طفلك،
الذي امتلأت منه السماوات والأرض
مباركة ثمرتك، أفرخت عنقودًا في كرمة عاقر.

مريم العذراء والإفخارستيّا

في القرن الرابع المسيحيّ، ساعة تكلّم أفرام عن مريم العذراء، ما جاراه أحد من آباء الكنيسة في الشرق وفي الغرب. والقول المأثور عنه: من القبر تصرخ عظامي: مريم هي والدة الإله. ويكفي أن نقرأ أناشيد الميلاد لكي نرى مكانة العذراء في لاهوت أفرام السريانيّ. نساء عديدات صوّرن هذه الأمّ التي تفوّقت عليهنّ. وهي كانت قرب يسوع تحمله في حضنها، تغذّيه من ثديها. تناغيه وتنشد له، فأصبحت في نظر هذا المتعبّد لها كنّارة، وهو لقب أعطي لأفرام: إفتح فمي، إملأ فمي أنغامًا. هذا ما قالت لابنها. وماذا يا ترى تعطينا في كلامنا عن الإفخارستيّا؟ لولا الجسم الذي أخذه ابن الله من مريم، لما كان لنا جسدٌ نأكله ودم نشربه فيكون لنا زادًا في طريق الحياة.

نقطة الانطلاق في كلامنا، تجسّد الابن وأمومة مريم. ثمّ نعود إلى الصور الكتابيّة، قبل أن نتعرّف إلى مريم في قلب الكنيسة.

١ - مريم أمّ الابن المتجسّد

ماذا يقول أفرام عن مريم في علاقتها بابنها؟ نبدأ فنورد بعض النصوص من الإنجيل الرباعيّ، التي تشير إلى مريم. ثمّ نقرأ من أناشيد الميلاد. وفي النهاية، نرى التقارب بين مريم والإفخارستيّا.

أ في شرح الإنجيل

[illegible] السريانيّ خبر بشارة مريم (لو ١: ٢٦-٣٨)، فتحدّث عن

حشاها الذي قدّسه الله ليكون معطفًا له. فقال في الدياتسّارون (١: ٢٥):

«إذا كان الآب سلّم إلى الابن الدينونة الآتية، فواضح أنّه أتمَّ به أيضًا خلق البشر وإقامتهم من جديد. كان الجمرة التي أحرقت الشوك والعوسج (تك ٣: ١٨). سكن في الحشا وطهّره. قدّس موضع آلام الولادة واللعنات (تك ٣: ٢٦). فالنار التي رآها موسى أوقدت العلّيقة (خر ٣: ٢-٣). والعلّيقة المتّقدة أذابت الشحم. والعلّيقة المتّقدة التي لم تحترق، كانت صورة عن الذهب المصفّى، بتلك النار الحيّة التي ظهرت في نهاية الزمن (غل ٤: ٤) فسقت حشا مريم وارتدته مثل نار العلّيقة».

وما كان نسل مريم، مع أنّ الأناشيد العديدة تجعلها ابنة داود؟ هي كذلك حين خُطبت ليوسف فأخذت اسمه، شأنها شأن كلّ امرأة في الشرق. ولكنّ أفرام يفتح طريقًا أخرى: هي بنت لاوي. إذًا من عائلة كهنوتيّة، بحيث يلتقي في يسوع الكهنوت بأمّه، والمُلكُ بأبيه.

«إنّ كلمات الملاك «إليصابات نسبيتك» تقدّم لنا مريم على أنّها من بيت لاوي. ولكن جُعلت النبوءة بالنسبة إلى الزواج. فيوسف الذي خطب مريم كان من نسل داود... إذا كان الكتاب لا يقول شيئًا عن نسب مريم، فلأنّ حساباته تشير إلى أنساب الرجال. فلو اعتاد الكتاب أن يذكر نسب الأمّهات، لكان من الطبيعيّ أن يورد نسب مريم. فالكلمات «إليصابات نسيبتك» تقدّم مريم على أنّها من بيت لاوي» (١: ٢٥).

وقابل أفرام بين أليصابات ومن ولدت، ومريم ومن ولدت (١: ٣١):

«وضعت إليصابات العجوز آخر الأنبياء، ومريم الصبيّة ربَّ الملائكة. وضعت ابنة هارون «صوتًا في البرّيّة» (مت ٣: ٣) وابنةُ الملك داود، كلمة الملك السماويّ. زوجةُ الكاهن وضعت «ملاك وجه الله» (إش ٦٣: ٩)، وابنةُ الملك داود، الإلهَ القدير، في الأرض. العاقر ولدت من يغفر الخطايا، والعذراء ذاك الذي يرفعها (يو ١: ٢٩، ٣٦). وضعت إليصابات ذاك الذي

يصالح البشر في التوبة، ومريم ذاك الذي يطهّر الأرض من نجاستها. البكرُ أشعلت سراجًا في بيت يعقوب أبيها، وهذا السراج هو يوحنّا (يو ٥: ٣٥). والصغرى أشعلت شمس البرّ (ملا ٣: ٢٠) من أجل جميع الأمم».

والكلام عن حبل مريم يردّ على ضلالين اثنين. الأوّل وثنيّ ولا يزال حاضرًا في أيّامنا، لكي ينفي صفة الوحي عن الكلام الإنجيليّ. والثاني يرتبط بالعالم اليهوديّ الذي عبَّر عن نفسه في التلمود حين اعتبر مريم زانية، وقد حبلت مع جنديّ رومانيّ. فإن كانت مريم حُبلى، فبفعل الروح القدس. وها هو الردّ على الضلالة الأولى:

«وميلاد يسوع كان هكذا: حين خُطبت مريم على يوسف كانت حبلى (١: ١٨). ما قال الإنجيل هذا وكأنّه أمر عاديّ. تخيّل الوثنيّون في أساطيرهم أنّ آلهتهم خضعوا للشهوات المعيبة ولإيلاد بنين ليسوا بحسب الطبيعة. وأنت إذ تسمع عن حبل مريم، لا تتخيّل خبرًا مشابهًا. لهذا قال الإنجيليّ: حُبلى بعمل الروح القدس. ما وُلد يسوع في اتّحاد بشريّ. فبالحبل المقدّس به، فُتحت الطريق أمام العفّة لكي تسكن في كلّ جسد. أن تكون (مريم) خُطبت وامتلكت اسم رجل (= يوسف)، وذلك بعد أن حبلت، كلُّ هذا حصل باسم أمّه. فابن داود، تسجّل مع الملوك».

وتجاه الضلالة اليهوديّة، قال أفرام في المقطع نفسه (دياتسّارون، ٢: ١):

«أو أنّ ذلك (= الحبل) حصل بسبب عقليّة البشر الفاسدين، الذين اتّهموا مريمَ بالزنى وافتروا عليها. لهذا سُلِّمت إلى شخص كيوسف: رآها حبلى فاحتفظ بتلك التي تستعدّ للولادة. ما طردها من بيته، بل أقام معها وقاسمها ثقل الافتراءات. ثمّ شهد من أجلها على عيون الجميع: من وُلد منها ليس ثمرة الزنى، بل حُبل به بقوّة الروح القدس».

وقدّم أفرام مقابلة بين ولادة أولى ارتبطت بآدم وحوّاء، في قراءة حرفيّة، وبين ولادة يسوع من مريم العذراء. فقال في الكتاب عينه (١ : ٢):

«في الواقع، ولدت مريم ولدًا بدون مشاركة الرجل. في البدء، وُلدت حوّاء من آدم من دون لقاء بشريّ. هكذا بالنسبة إلى يوسف ومريم العذراء خطّيبته. ولدت حوّاء القاتل قايين، ومريمُ المحيي. تلك ولدت من يسفك دم أخيه (تك ٤: ١-١٦)، وهذه من يسفك إخوتُه دمه. رأت حوّاء مَن أخذ اللعنة وسمّرها على الصليب (تك ٤: ١٠-١٤). ومريم ذاك الذي يرتعد ويهرب بسبب لعنة الأرض».

ب- في أناشيد الميلاد

نكتفي بهذا القدر من الشرح الإنجيليّ وفيه عمق التفسير وقوّة الدفاع وحبّ الذين تحدّثوا عن ولادة الإله قبل تحديد العقيدة في مجمع أفسس، سنة ٤٣١. أمّا في أناشيد الميلاد، فالعاطفة تلعب دورها، كما الأمّ مع ابنها، الذي هو إله وإنسان معًا. في ذلك الوقت، تغرق مريم في سرّ لا يوصف، فلا يستطيع اللسان البشريّ أن يتحدّث عنه. قالت لابنها في النشيد السادس عشر:

٩ كيف أدعوك يا غريبًا عنّا صار منّا؟
أأدعوك أبًا؟ أأدعوك أخًا؟
أأدعوك عريسًا؟ أأدعوك سيّدًا؟
يا من ولد أمّه ولادة أخرى من جوف الماء.
١٠ فأنا أخت من بيت داود أبينا معًا،
وأمّ أنا أيضًا لأنّي حبلتُ بك.
أنا عروس لأنّك القدّوس،

أمة الدم والماء وابنة،
لأنّك اشتريتني وعمّدتني.
١١ يا ابن العليّ الذي أتى وحلّ فيّ فصرتُ أمَّه،
وكما ولدتُه ولادة أخرى،
ولدني هو أيضًا ولادة ثانية.
لباسَ أمّه، جسدَها لبسَ، فلبست مجدَه.

ونورد هنا النشيد الخامس من أناشيد الميلاد، حيث تتأمّل مريم الطفل الذي في حضنها، بين يديها. هو الطفل وهو الكبير الأيّام. هو المحدود ويرى كلّ شيء. هو محتاج إلى طعام ويعطي البشر الطعام.

١٩ بأصوات شجيّة اضطرمت مريم وناغته،
من وهب المُقفرة الخالية
أن تحبل بواحد عظيم وتلده؟
صغيرٌ هو وكبير: كلّه بقربي وكلّه لدى الكلّ.
٢٠ يومَ دخل جبرائيل إليّ أنا المسكينة،
صنعني في الحال حرّةً وأمة.
فأنا أمة لك، أيّها الإله،
وأمّ لك أيضًا، أيّها الإنسان، يا ربّي وابني.
٢٢ أمتلئ دهشة أمام طفل ملقى أمامي وشيخ،
كلّه إلى السماء ارتفعت عيناه،
لثغة فمه لا تهدأ،
فيخيَّل إليّ أنّه في هدأته يكلّم الله.
٢٣ من رأى طفلاً ينظر كلّه في كلّ مكان،

مرآه يشبه ذاك الذي يدبّر
البرايا كلّها في العلى والعمق.
مرآه يشبه ذاك الآمر الذي يأمر الجميع.

٢٤ كيف أفتح لك، أيّها الينبوع، ينبوعَ الحليب؟
وكيف أعطيك القوت أيضًا
يا من يُقيت الجميع من مائدته؟
كيف أقترب من قمطك يا من معطفه الضياء؟

ويتوسّع النشيد الرابع ويطول، فيقدّم نقائض سبق ووردت بالنسبة إلى يسوع: ذاك الصامت يضمّ كلّ الألسنة. ذاك الذي في حضن أمّه، يضمّ الخليقة كلّها في حضنه. كان صغيرًا في حشا أمّه وكبيرًا حين يدبّر الكون:

١٤٦ حملته مريم طفلاً صامتًا
ساعة اختفت فيه الألسن كلّها.

١٤٧ حمله يوسف فاختفى فيه
كيانٌ قديم وأقدم من الجميع.

١٤٨ هو طفلٌ ملقى على الأرض واختفى فيه
كنزُ الحكمة التي تكفي الجميع.

١٤٩ ارتمى يرضع حليب مريم
والبرايا كلّها ترضع خيراته.

١٥٣ من كان يرضع من حليب أمّه،
أرضع المسكونة من حياته.

١٥٤ من حلّ في حضن أمّه،
حلّت البرايا كلّها في حضنه.

١٥٥ من صمت طفلاً، كان يأمر
الخليقة كلّها بكلّ أوامره.
١٥٩ كلّه في الأعماق وفي العلاء كلّه،
كلّه قرب الجميع وقرب كلّ واحد منّا.
١٦٠ ساعة صُوِّر جسدُه في حشا مريم،
ركّبت قدرتُه الأعضاء لكلّ إنسان.
١٦١ في الحشا صوِّر حبلُ الابن
وهو في الحشا يصوّر جميعَ الأطفال.
١٦٥ ساعة حلَّ كلّه في الحشا،
صنعت إرادتُه الخفيّة المسكونة كلّها.

٢- الصور الكتابيّة

ما استطاع أفرام أن يتحدّث عن مريم، والدة الإله، ويفيها حقّها، بلغته وشعره، فلجأ إلى الكتاب المقدّس، يأخذ منه صورًا يطبّقها على المباركة بين النساء. قابل أفرام مريم مع حوّاء أوّلاً. ثمّ قارنها بنساء العهد القديم، من سارة إلى رفقة وليئة وراحيل وزلفة وبلهة، وما نسيَ حنّة أمّ صموئيل وإليصابات والدة يوحنّا المعمدان.

تمنّت سارة، زوجة إبراهيم، ونذرت. وإذ رأت إسحق الآتي، رأت في ابنها هذا، ذاك الذي يرمز إليه (الميلاد ١٣: ٣):

منذ الصبا، إسحقُ الجميل تطلّع إلى رمزك،
بك ناغته سارة، حين رأت
أسرارَك تحلّ في طفولته.

فيا ابن نذوري، فيك اختفى سيّد النذور.

نساء عديدات طلبن أولادًا، توسّلن، بكين، نذرن، عرفن العذاب الطويل، فقالت راحيل مثلاً ليعقوب: أعطني ولدًا وإلاّ أموت. كأنّها تقول: أقتُل نفسي. أمّا مريم البتول فما طلبت، ومع ذلك أعطيَت ابنًا لا كالأبناء. وإليصابات رأت العار يحيط بها. اعتزلت قبل الحبل وبعد الحبل. وكم فرحت حين التقت البتول التي تباركت بثمرة بطنها، فنادتها: أمّ ربّي. هنا نقرأ النشيد الثامن:

١٣ ناغت سارة إسحق عبدًا
يحمل صورة الملك ربّه،
على كتفيه علامة الخشبة (الصليب)،
ورمز المسامير على يديه سلاسل وعذاب.

١٤ صرخت راحيل في زوجها فقالت: هب لي البنين.
طوباها مريم. فمع أنّها ما سألت
حللتَ في حشاها حلولاً مقدّسًا
يا موهبة ألقت بنفسها على من أخذها.

١٥ بدموع المرارة سألت حنّة ولدًا،
وسارة ورفقة، بالنذور والتضرّعات،
وإليصابات صلّت أيضًا.
بعد العذاب الطويل كان لهنّ العزاء.

١٦ طوباها مريم! لا نذرت ولا صلّت
ومع ذلك حبلت وهي بتول، وولدت
من هو ربّ أبناء مثيلاتها

الذين كانوا أنقياء أبرارًا وكانوا ملوكًا وأحبارًا.

١٧ من التي تناغي في حضنها، مثل مريم؟
من التي تتجاسر وتدعو ابنَها
ابن صانع الكون وباريه؟
ومن التي منذ الأزل دعت ابن العليّ ابنها؟

وما خاف أفرام أن يقارن مريم مع نساء خاطئات. في أيّ حال، جعلهنّ القدّيس متّى في إنجيله: تامار، كنّة يهوذا اتّهمت بالزنى فبرّرها يهوذا. ومريم أيضًا اتّهمت. وإذ كانت بتشابع الخاطئة استطاعت أن تنال من داود أن يجعل ابنها سليمان ملكًا، فمريم نالت الوعد من الملاك. نقرأ النشيد ١٥:

٥ كما الكنّارة إلى سيّدها، فمي ينظر إليك
شأ فيتحرّك لسان أمّك.
بك تعلّمتُ حبلاً جديدًا
وبك يتعلّم فمي ولادة جديدة، ولادة تسبيح جديد.
٦ الصعوبات لا تصعب عليك، بل تسهل:
بلا زواج حملك الحشا
والبطن ولدَك من دون زرع،
والفم يسهل عليه أن يُثمر تسبيحك العظيم ويُكثِر.
٧ مقهورة أنا، مظلومة أنا، وأنا صافية
امتلأت أذناي هزءًا وعارًا.
ما أحتملُ قليل عليّ
لأنّ تعزية واحدة منك تطرد كلّ المعوقات.

٨ ما احتقرتني يا ابني، فوجهي جليّ،
وما قهرتَني حين حبلتُ وولدت.
ديّانُ الحقّ يعلن براءتي.
إذا كان يهوذا أعلن براءة تامار، فكم أنت تعلن براءتي.
٩ رتّل لَك المزاميرَ أبوك داود قبل أن تأتي:
سيقرَّب لك ذهب سبأ
رتّل لك المزمور وهو عريان (٢ صم ٦: ٢٠)
فتجمَّع فعلاً قدامك المرّ والذهب.

بالإضافة إلى النساء في العهد القديم، نتوقّف فقط عند صورة ترد في التوراة: المسكن أو خيمة الحضور. هنا نتذكّر لفظ «شكينة» العبريّ. كلّ هذا صورة عن مريم التي أقام فيها عمانوئيل. في هذا المجال، كتب أفرام في أناشيد البتوليّة (٢٥: ١):

يوسف ويوحنّا وقّرا
حشا أمّك كما في السرّ
سرّ المسكن (الخيمة) خيمة الوعد
التي فيها أقام عمانوئيل.
الاثنان يبكّتاننا فلا نتواقح
ونصغّر الله في معابده
الدراسة مخيفة، وهذا الرفيع الذي لا يقاس
نقيسه ونتعقّبه.

ونقرأ في المسكن في النشيد ٤٨: ٤-٦ من الأناشيد الأرمنيّة:

٤ في البرّيّة نصب موسى

المسكن من أجل اللاهوت.

هو ما أقام في قلوبهم،

فجعل مقامه في قدس الأقداس.

٥ شُيّدت الكنيسةُ للشعوب

لتكون جماعة صلاة،

وفي نفوسنا، تعليم القدرة

التي تقود مركبة الكون.

٦ بمعموديّة الروح القدس،

لنا حصّة في التكفير عن الخطايا،

والقدرة المقيمة في الخبز،

تأتي وترتاح فينا.

وهكذا يتوازى مفهومان: صورة المسكن والخيمة. هناك يقيم فيه عمّانوئيل. وهكذا تصبح مريم موضعًا تُقام فيه شعائر العبادة. غير أنّ الخيمة والمسكن هما صورة الكنيسة حيث يقيم المسيح. وهكذا يكون للمسيح ثلاثة «مساكن»: الخيمة، الكنيسة، مريم.

٣- مريم في قلب الكنيسة

في كلّ هذا، اكتشفنا أمومة مريميّة بالنسبة إلى الإفخارستيّا. نتذكّر. نكتشف الغنى في لاهوت مريم في علاقته بسرّ الأسرار. مريم تعطينا الإفخارستيّا، تجاه الخبز الذي أعطتنا حوّاء. ومريم مسكن الله يتواصل في سكنى الكلمة في الكنيسة. ومريم التي هي النموذج الأولى للبتول المسيحيّة، يقيم فيها المسيح في علاقة العروس بعروسه والأمّ بولدها.

وأخيرًا الجسد الواحد الذي وُلد من مريم، وُلد أيضًا لكي يكون إفخارستيّا. لهذا كان التماهي التامّ بين الجسد التاريخيّ الذي أُخذ من مريم وجسد المسيح الأسراريّ.

هنا نكتشف العلاقة بين الإفخارستيّا وعيد الميلاد. هذا ما نقرأ في النشيد الرابع من أناشيد الميلاد:

٨٥ من حضن البتول (مريم) كما من الغمر،
نبت زرعٌ. منه كانت الغلاّت.

٨٦ أهراءَ لا عدَّ لها، ملأ يوسف،
فكفَت في سنوات الجوع ووفّت.

٨٧ سنبلة واحدة من سنابل الحقّ وهبت الخبز،
خبزًا لا يُحدّ من السماء.

٨٨ في البرّيّة كسر البكرُ خبزًا،
فانيًا عابرًا كان، مع أنّه كثير جدًّا.

٨٩ فعاد أيضًا وكسر خبزًا جديدًا
لا تفنيه الأجيال والعشائر.

٩٠ الخبزات السبع التي كسر في البرّيّة نفدت،
وفنيَت الخبزات الخمس التي أكثرَ.

٩١ خبزة واحدة كسرَ، فنقّت الخليقة،
وحين تنقسم تكثر إكثارًا.

وسبق أفرام وقال في النشيد عينه:

٢٧ هو (= يسوع) عنقود مبكر في هذا اليوم،
تختفي فيه كأسُ الخلاص.

٢٩ في الشتاء تفرغ الأغصان من الثمار،
ولنا ظهرَ ثمرٌ من كرمة عاقر.
٣١ في كانون يختفي الزرعُ في الأرض،
ومن الحشا نبتت سنبلةُ الحياة.
٣٢ في نيسان ينبت الزرعُ في الهواء،
وفي الأرض زرعت الحزمةُ نفسها.

وفي أناشيد الميلاد (٢٤: ١٧) نفهم أنّ الطفل يسوع سيكون الخبز والخمر في الإفخارستيّا، في إطار آلامه. طفلاً، هرب إلى مصر، وفي ساعته حُصد وعصر:

في بيت لحم حصد الجلاّدون
الزهرات الطريّة
التي كادت تهلك الزرع الطريّ
الذي اختفى فيه الخبز الحيّ.
سنبلة الحياة هربت، وأنتَ
إلى يد الحاصد في وقت الحصاد.
والعنقود الذي هرب، طفلاً،
سلّم ذاته لكي يُعصر،
فيعطي بخمره الحياة للنفوس.
المجد لك يا كنز الحياة.

يتجسّد يسوع فيدخل إلى عالمنا. كما يصير عصير كأسنا وقمحًا يُزرَع لأجلنا. هذا ما يقول النشيد الثالث من أناشيد الميلاد:

مبارك الراعي! صار حمل غفران لنا.

مبارك الغصن! صار لنا كأس خلاص.

ومبارك العنقود أيضًا، مُعين دواء الحياة.

ومبارك الفلاّح،

صار حنطة زُرعت، وحزمة حُصدت.

(ومبارك) المهندس، الذي صار حصنًا وملجأ.

ويقابل أفرام بين مريم والكنيسة في ارتباطهما بالإفخارستيّا، فيتطلّع إلى «الطريق الكاملة التي فتحها المسيح للكنيسة منذ البداية، منذ الحبل به حتّى تمام القيامة» (دياتسّارون ٤: ١٤). ويواصل أفرام كلامه في ٤: ١٥:

«فإذا كانت الكنيسة جسده، كما قال بولس الرسول شاهدُه، آمنْ أنّ الكنيسة مرّت في كلّ هذا (من الطفولة إلى القيامة) بدون فساد. وكما أنّه بالحكم على آدم وحده ماتت جميعُ الأجساد وتموت أيضًا، هكذا بغلبة جسد المسيح الواحد، عاشت الكنيسة وتعيش أيضًا. وكما خطئت الأجساد وماتت، ولُعِنت أمُّها الأرض، فبسبب هذا الجسد الذي هو الكنيسة التي لا تفسد، تباركت أرضُه منذ البداية. فالأرض هي جسد مريم، هذا الهيكل الذي وُضع فيه الزرع».

وفي نشيد المرجانة والإيمان ٨: ٤، شبّه أفرام الكنيسة ومريم بمرجانتين جميلتين وصافيتين:

صارت مريم التي رأيتُ هناك،

حبلاً نقيًّا. صارت الكنيسة،

والابنُ في داخلها شبهُ غمام.

حملَتْه، ورمزُ سماء

أشرق منها ضياء جميلاً.

وما أعطتنا الكنيسة من طعام، أعطتنا مريم في بيت لحم، بيت الخبز. فقال النشيد السادس من أناشيد الفطير:

٤ وهبت لنا الكنيسةُ الخبز الحيّ،
بدل الفطير الذي وهبته مصر.
٥ ووهبت لنا مريم الخبز القويّ
بدل خبز التعب الذي وهبته مصر.

الخاتمة

كلامًا واسعًا أردناه عن مريم، في فكر أفرام بشكل عامّ، وفي علاقتها بالإفخارستيّا. إذا كان الجسد الذي حملته مريم في حشاها، وربّته طفلاً ورافقته فتى وشابًّا، هو الذي يقترب منه المؤمنون في الإفخارستيّا، فلماذا نعجب من المقابلة بين مريم والإفخارستيّا. جسد الابن، في فلسطين، كان لبضع سنوات. أمّا الإفخارستيّا فهي غذاء الكنيسة إلى أن يجيء المسيح. وهكذا كانت الكنيسة التي توزّع هذا السرّ القربانيّ وسائر الأسرار، الرابطَ بين مريم والإفخارستيّا. وحين نعرف أنّ مريم تلخّص سرّ الكنيسة في الحبل والولادة حتّى الانتقال إلى السماء. فتكشف ما يمكن أن يُقال في إطار الاحتفال بالميلاد عن جسد الربّ، زاد القمح السماويّ، وعن دمّ الربّ، ذاك العنقود الذي تفنى خمرُه إلى نهاية العالم.

القسم الثاني

أناشيد في المائدة

سنة ١٩٠٦، نشر مار اغناطيوس الثاني رحماني، بطريرك أنطاكية للسريان الكاثوليك، «دراسات سريانيّة»[١]. جاء الجزء الأوّل بحسب العنوان التالي: مجموعة مدارش (= قصائد، م د ر ش ا) حول البتوليّة وأسرار ربّنا[٢]. بعد ذلك، نشر الجزء الثاني، فما وضع التاريخ، ولكنّنا نقرأ في الصفحة الأولى: «أيضًا نكتب مقالات مار افرام على التسبيح (الذي يقال) على المائدة»[٣]. عرف المستشرقون هذه المقالات على أنّها «ميامر حول المائدة»[٤]. ونحن أخذنا بهذه التسمية.

تضمّن هذا الجزء الثاني «ميامر حول مباركة المائدة» كما تضمّن ميامر أخرى حول ثيقوميديا، حول الهدوء والصمت، حول التواضع والصوم والفقر...

هي ثلاثون مقالة. أخذ البطريرك رحماني من مكتبة الشرفة هذه النصوص، واستعان مثلاً بما في المكتبة البريطانيّة (١٤٥٧٧؛ ١٨٨١٧).

طُبعت هذه النصوص في مطبعة الشرفة، ولبثت غير معروفة إلى أن قام بترجمتها إلى اللاتينيّة الأب لويس مارياس[٥] الذي توفّي في ١٨ تشرين الثاني ١٩٨٥، بمشاركة ليون فرومان[٦] قنصل فرنسا السابق الذي توفّي سنة ١٩٥٢. ونقل الأب فرنسوا غرافان[٧] اليسوعيّ هذه الميامر إلى الفرنسيّة.

---

(١) Studia Syriaca

(٢) في السريانيّة: «ف ن ق ي ت ا. د م د ر ش ي. د ع ل. ب ت و ل و ت ا. و ر و ز ي. د. م ر ن».

(٣) في السريانيّة: «ت و ب. ك ت ب ي ن ن. م م ر ي. د. م ر ى. ا ف ر ي م. د. ع ل. ت ش ب و ح ت ا. د ع ل. ف ت و ر ا».

(٤) Carmina de Mensa. Voir I. ORITZ de URBINA, *Patrologia syriaca*, Rome, 1958, p. 80 : " Cantica ad mensae benedictionem "

(٥) Louis MARIES

(٦) Léon FROMAN

(٧) François GRAFFIN

نشير إلى أنّ الأب مارياس أضاف إلى ما تركه البطريرك إغناطيوس الثاني الميمرين العاشر والحادي عشر. ونسخ بخطّه الجميل، النصّ السريانيّ، الأب بيلوني رئيس إكليريكيّة الشرفة والذي كان أسقف حلب للسريان الكاثوليك[٨].

ونسير مع أفرام إلى مائدة أولى، مائدة الطعام اليوميّ والشراب. ولكنّ المائدة عند الإنسان ليست فقط موضع طعام نمضغه بأسناننا وشراب نسكر فيه، بل مكان نتبادل فيه الأحاديث، نتشارك في أمور الحياة، ونتعلّم أن نعيش ضمن العائلة الواحدة، أكان عددنا كبيرًا أم صغيرًا. أمّا أناشيد المائدة فهي:

١– نشيد ١، المائدة المسيحيّة

٢– نشيد ٢، شكر لله ونمن دعانا

٣– نشيد ٣، نأكل ونشرب كما الرسل

٤– نشيد ٤، مثل إيليّا وأليشع وحزقيال

٥– نشيد ٥، معجزات طبيعيّة

٦– نشيد ٦، الشكر والتسبيح في ولائمنا

٧– نشيد ٧، نكران الجميل لدى بني إسرائيل

٨– نشيد ٨، إسرائيل أمام المنّ

٩– نشيد ٩، شكر لله على الثمار

١٠– نشيد ١٠، الشكر على الطعام

١١– نشيد ١١، ضيافة إبراهيم وأيّوب.

---

(٨) F. GRAFFIN, *L'Orient Syrien* (OS), 4(1959), p. 73-76. ونحن نذكر هذا المرجع: «الشرق السريانيّ».

الميمر الأوّل

المـــائدة المســـيحيّة[١]

اللازمة: مبارك الصالح الذي بسط يديه،
وأعطى مجدًا لمائدتنا.

تمجيد الله وشكره[٢]

كلّ من شبع من موهبته،
يُؤدّي المجد لكيانه.
وكلّ من أكل من طيّباته،
يشكره على نعمه.

كلّ من شرب من ينبوعه،
تنبع له كلُّ الأقوال.
وكلّ من شبع من مائدته،
يرتّل له من المزامير.

من تجمّعت قدّامه التنعّمات،
بركاتٍ يوزّعُ منها.

---

(١) القواعد من أجل المائدة المسيحيّة. بعد اللازمة نقرأ ١٣٢ بيتًا من الشعر، وقد قسّمناها مقاطع Stophes.

(٢) النظرة الإيجابيّة: نمجّد الله ونشكره.

ومن امتلأت مائدتُه،
يناول منها صدقات.
من أحبّ ابن الجفنة[٣]،
يحبّ أقوال الشكر.
ومن شرب كثيرًا،
يحبّ السُبحَ[٤] الكثير.

من يُثني[٥] الكأس ويحبّ،
يحبّ تثنية الناموس.
وكلّ جيل المتذوّقين،
يعلن أقوال التهليل.

لا كالحيوان[٦]

حين نشرب خمر النقاوة،
تجمل التراتيلُ الروحيّة.
لا نأكل مثل الحيوانات،
التي أكلت وشربت وما سبّحت.

(٣) ج ف ت ا. أو الكرمة. فالعنب يرتبط بالخمر التي هي جزء أساسيّ في الولائم.
(٤) ش و ب ح ا: السبح أو المجد.
(٥) ت ن ي ا: يشرب كأسًا ثانية. لهذا وجب عليه أن يقرأ الناموس (الشريعة والتوراة) قراءة ثانية (ت ن ي ن).
(٦) النظرة السلبيّة: لا يأكل الإنسان كالحيوان.

حين يأخذ البعيرُ يسكت،
ويشكر فمُنا لأنّنا شبعنا.
لا نشبه الزاحفَ الشرّير[٧]،
الذي أكل وأنكر النعمة،

ولا الطيرَ الذي أكل،
ثمّ امتنع عن التسبيح.
على مائدة النعيم،
نرمي أخبار المساعدات.

لا نُقيت الجسد وحده،
فالنفس ترعى[٨] في التعليم.
فكما يستعذب الفمُ الشراب،
تستعذب الأذنُ شرح الكتاب.

كلّ من اتّكأ إلى مائدتنا،
يبسُط كلمته، يبسط يده.
وكما ننشط للأكل،
ننشط أيضًا لتفسير الكتاب[٩].

---

(٧) هي إشارة إلى الحيّة ومن وراءها في التجربة الأصليّة (تك ٣: ١ي).

(٨) ت ر ع ا. هي النعجة التي راعيها يسوع (يو ١٠: ١ي). وهي ترعى في مراعٍ خصيبة (مز ٢٣: ١ي).

(٩) نلاحظ المقابلة بين طعام وطعام. طعام الجسد، ثمّ طعام النفس الذي هو كلمة الله. وقد شبّه الآباء خبز المائدة بخبز القربان أو الإفخارستيّا.

الله سيّد الوليمة[١٠]

من هو رأس المأدبة،
يكون علّة المساعدات.
تحلّ اللياقةُ أوّلاً،
والجسارة لا تحلّ.
ينفتح بابُ البرّ،
وتحتشم الحصافة[١١].

الأوّل يبدأ أوّلاً،
ثمّ كلّ إنسان بحسب قدرته.
يكون الأمان خادمًا في الوسط،
وهناك ينطفئ الخلاف[١٢].

يملك الحبّ في المأدبة
...[١٣]
يمنع الحقُّ السامعين،
فلا يُؤخذون بالوجوه.

---

(١٠) لا شكّ في أنّ هناك ربّ البيت وربّة البيت، ولكنّ السيّد الأوّل هو الربّ، وهو يُشرف على ولائمنا.

(١١) ح ص ي ف و ت ا: الوقاحة واللجاجة.

(١٢) ش ي ن ا (الأمان). الوجه الإيجابيّ الذي يرد مرارًا، ثمّ: ح ر ي ن ا: الخصام الذي هو الوجه السلبيّ. المائدة مناسبة لقاء، لا قتال كما يحدث مع الحيوان حيث يريد كلُّ واحد أن يأخذ حصّته ويمضي بها.

(١٣) سقط هنا بيتٌ من الشعر بسبب المخطوطة.

من يصمت، من يتكلّم[١٤]

من كان صبيًّا يصمت،
ومن سماع الحياة يقتني.
يكون لك[١٥] كالسامع،
ويحنظ الصمت في المأدبة.

من حزنَتْ روحه، لا يزرع
السأم بين رفاقه.
ومن كان ثرثارًا، لا يبلبل
عذوبة المأدبة[١٦].

من كان عالمًا[١٧] في الكتب،
يملأ المكان بما يروي.
والغنيّ بالمساعدات (الروحيّة)
يذكّر الأميّ الساذج.
ومن كان وجدانه في عافية،
يكون كورًا[١٨] يمتحن (كلّ شيء).

(١٤) نحن في إطار آداب المائدة. الشيخ هو من يتكلّم، فمعه خبرةُ الأجيال.
(١٥) يوجّه الكلام إلى الشيخ.
(١٦) نقرأ هنا نصيحتين: لا تتعب الناس بحزننا، ولا بثرثرتنا.
(١٧) س ف ر ا. هناك الكاتب والشارح الماهر. هو من يتكلّم والآخرون يسمعون.
(١٨) في الكور تُوضَع المعادن لكي تتنقّى من الشوائب.

الجدال والمناقشة[١٩]

من يستند إلى ذوقه،
يوقف جلبة المجادلين.
ومن يحتاج إلى سؤال،
يفتح كنز القائلين.

لا أسئلة طويلة،
ولا طلبات متخفّية.
سؤالٌ قصير وجليّ،
وطلبُ البراءة والعافية.

الطالب يطلب الكنوز،
فيجد حجارة المرجان.
الشرح يكون ينبوعًا،
فيروي الآذان العطشى.
ويرمي الجدالُ أشعّتَه،
فينير عيون الوجدان.

الاعتدال في الجدال

يتكلّم واحد على الاعتدال،
وآخر على الطهارة.

(١٩) المائدة مناسبة لطرح الأفكار بحيث يغتني الواحد من الآخر.

وموضوعُ الكلام على مائدتنا،
مائدةُ الملكوت.

نذكر في هذه المأدبة
الغنيّ ولعازر[٢٠]
نتذكّر الذي قال:
«كنتُ جائعًا فأطعمتموني»[٢١].

يدخل الاعتدالُ، ويُخرج
الشراهةَ من بيننا.
فنذكر في هذه المأدبة،
مأدبة إبراهيم العظيمة[٢٢]

لا للشراهة واللااعتدال[٢٣]

لا يدخل اللااعتدال
فهو يُتعب المأدبة.

---

(٢٠) لو ١٦: ١٩ي: ج ن ب ر ا. د ي ن. ح د. ع ت ي ر ا... و م س ك ن ا... ش م ه. ل ع ز ر... هي العلاقة بين الفقير والغنيّ. فهذا يحتاج إلى الرحمة لكي يشرك الفقير في مائدته.

(٢١) مت ٢٥: ٣٥: ك ف ن ت. ج ي ر. و ي هـ ب ت و ن (وهبتم) ل ي (لي) ل م ا ك ل (لكي آكل).

(٢٢) تك ١٨: ١ي. جاءه ثلاثة ضيوف (ت ل ت ا. ج ب ر ي ن: ثلاثة رجال).

(٢٣) خلال الحوار، لا نُكثر من الخمر فيَفسد الجدال. رج ١ تم ٥: ٢٣ حيث يقول الرسول: «إشرب قليلاً من الخمر».

لا تَدخل الخمرُ فتجعل
من الموقّرين أذلاّء.

حين يشربون يذكرون
يوناداب ووصاياه[٢٤]
كان إرميا ساقيًا،
فرتّب الكاسات والأواني[٢٥].

عن الخمر منعوا أفواههم[٢٦]،
أبناءُ يوناداب الحقيقيّون.
هم ما ذاقوا طعمه يومًا،
ونحن نشربه باعتدال.

اعتدال في شرب الخمر

نترك نحن كثرة الخمر،
لأنّ هؤلاء، تركوها كلّيًا.
ونذكر أيضًا النذراء[٢٧]،
الذين تركوا كلّ جفنة.

---

(٢٤) ف و ق د ن و ه ي. يوناداب هو رئيس الريكابيّين الذين امتنعوا عن شرب الخمر، كما تحدّث عنهم إر ٣٥: ٦-١٤.

(٢٥) إر ٣٥: ٥. دعا إرميا هذه الجماعة وقدّم لها لتشرب.

(٢٦) إر ٣٥: ٦. قالوا: «نحن لا نشرب خمرة، لأنّ يوناداب أوصانا».

(٢٧) عد ٦: ١-٢: «أيّ رجل نذر نفسه... يعتزل الخمر والمسكر». تُذكر «الجفنة» (ج ف ت ا) في البيت التالي.

لا تكن نجاسةٌ في استعمالها،
لأنّ في عناقيدها سرًّا عظيمًا[٢٨]،
كتبَ الرسول لتلاميذه:
«نشرب بالكيل وبالاعتدال»[٢٩].

تتذكّرون فساد الخمرة،
الذي رُميَ على نوح[٣٠] وعلى لوط[٣١].
هناك عن أولئك وهؤلاء،
نتكلّم على مائدتنا.

تمنّيات نهائيّة

للسامع عون،
وللمتكلّم فائدة.
ولكلّ المتّكئين عذوبة
روحيّة وجسديّة.

(٢٨) ارزا: السرُّ الأوّل في ما نُنتجه في حياتنا. ولماذا لا ننظر إلى السرّ الأخير الذي يرتبط بدم المسيح؟

(٢٩) ١ تم ٥: ٢٣: «ح م ر ا. ق ل ي ل. هـ و ي ت. ش ت ي»: خمرًا قليلاً تكون شاربًا.

(٣٠) تك ٩: ١٩: و ن ص ب (ونصب) ك ر م ا (كرمًا) و ا ش ت ي (وشرب) م ن (من) ح م ر ه (خمره). نعرف أنّه تعرّى.

(٣١) نقرأ خبر لوط في سفر التكوين. هو رفيق إبراهيم قبل أن يفترق عنه ويمضي إلى سدوم. ونعرف في النهاية أن قالت ابنته الأولى للثانية: «تعالي نسقي (ن ش ق ي) أبانا خمرًا (ح م ر ا) ونضاجعه» (تك ١٩: ٣٠). تلك كانت نهاية الخمر: الفسق والفجور.

للمدعوّين تجارة،
ولبني البيت بركات.
قطاف طيّب للأحبّاء،
وللجيران جمع العنب.

لملائكة العلاء امتداح،
ومواعيد لبني البشر.
الشكر لله،
وللمسيح التسبيح.
وليّ أنا أيضًا في الصلاة،
ذكرٌ في مآدبكم[٣٢].

(٣٢) ورد هذا النصّ في الشرق السريانيّ في ص ١- د . وفي المجلّة، ص ١٠٠-١٠٣. والترجمة الفرنسيّة واللاتينيّة ص ٧٦-٨٤.

الميمر الثاني

شكر لله ولمن دعانا[١]

مديح الله مشبعنا

مبارك من أشبع مائدتنا
طعامًا من كنزه.
هيّئوا آذانكم أيّها المدعوّون،
وأفواهَكم لتسبّحوه.
كونوا آخذين وواهبين،
وصبّوا الشُبحَ على هذا الطعام.

بقدر استطاعتنا

من كنزه وهب الله،
فهبوا أنتم من كنوزكم.
لله أعمال سهلة،
ولكم صوت الشكران.
وهب الله كما شاء[٢]،
هبوا أنتم كما تقدرون[٣].

---

(١) الشكر أوّلاً هو لله. ثمّ لصاحب الدعوة. يتضمّن هذا الميمر ٦٦ بيتًا من الشعر. هو في رحماني ص د-و، أي ١٠٣-١٠٥. والترجمة، ص ٨٤-٨٨.

(٢) ص ب ا. راجع: لتكن مشيئتك. فالربّ حرّ في عطاياه.

(٣) د م ص ي ن. إمكانيّاتنا ضعيفة. ولكنّنا نعمل قدر استطاعتنا.

صنع لنا الأشياء الصعبة[٤]،

...

بدل الخلائق الصعبة علينا،

هبوا الشكران السهل.

هو يطلب لا بكيل مستعار،

...

عطاء الله وشكرنا[٥]

هبوا المجد بدل الطعام،

الذي وهبه لكم بحسب مشيئته.

أخذتم الشبع في الحقيقة،

فردّدوا صوت الشكران.

الجفنة والحنطة[٦] من عنده،

ومن عندنا الصلاة والحبّ.

الزرع والزيتون من كنزه،

ومن كنزنا قول التسبيح.

أمرُه يهب طعامًا،

لتهبْ إرادتُنا المجد.

---

(٤) سقط في هذا المقطع strophe بيتان من الشعر.

(٥) صوتنا المادح والشاكر يتجاوب مع إرادة الله الواهبة، يكون فمنا تجاه يده.

(٦) هكذا في وليمتنا حيث الخبز والخمر، وهكذا في وليمة الربّ خلال العشاء السرّيّ.

مطرًا وطلاًّ من العلاء
ليصعد الشكران منّا.
عذوبات من مشيئته،
ومن حرّيّتنا التهاليل.

نشكر الناس والله[٧]

المدعوّون يشكرون شكرًا
من قاتهم يومًا واحدًا.
ومن يسقي مياهًا بسيطًا
لا ينكر إنسانٌ نعمته.

فمن يُنكر موهبةَ
واهب القوت للجميع؟
فمن يهب كأس ماء،
بالأجر يعده الله[٨].

من ينكر لله،
موهبته التي هي أعظم المواهب كلّها؟
والموهبة التي نهبُها له،

(٧) يعطينا البشرُ الشيء القليل فنشكرهم ونظهر عرفاننا نحوهم. والربّ الذي يعطي الكثير، أما نشكره؟

(٨) «ك س ا (كأس) د ق ي ر ي ر ي (ماء بارد) ب ل ح و د (فقط). مت ١٠: ٤٢؛ مر ٩: ٤١.

لا تُحتقر لديه وإن كانت حقيرة!
فمن يجعل شكره صغيرًا
لواهب وهبه الكثير؟!

الشكر لله الذي يُعطي[٩]

إنسانٌ يهب لنا شيئًا،
فنشكره بملء فمنا.
لنملأ فمنا تسبيحًا
لمن أمدّنا بكلّ شيء.
كيف يهنأ الآكلُ
الذي يأكل وللنعمة يتنكّر؟

لا تكن تسبحتنا فقيرة،
لئلاّ تفتقر مائدتُنا.
نعطي من لا حاجة عنده (الله)
لكي يملأ حاجتنا.

إن منعنا عنه لن يكون فقيرًا،
وإن هو منع فمن يحيا؟
على مأكلنا نشكره،
ونسبّحه على شرابنا.

(٩) نشكر الله الذي لا ينقصه شيء، وهو يُعطي كلّ شيء لكي يملأ حاجاتنا.

صلاة لمن جمعنا[١٠]

نتوسّل لأجل من جمعنا،
ولأجل من دعانا ننشد.
مبارك من أشبع مائدتنا
طعامًا من قوته.
المجد (لله) من مائدتنا،
للآب والابن والروح القدس.

(١٠) نصلّي إلى الله ونُنشد لمن جمعنا ودعانا. ونبارك الله ونمجّده لأنّه أشبعنا.

الميمر الثالث

نأكل ونشرب كما الرسل[١]

في تكثير الأرغفة[٢]

ها الجسد والنفس، يا إخوتي،
والمائدة والتعليم أيضًا.
للجسد مائدة جليّة،
وتعليم خفيّ للقلب[٣].

متكأُ الذين أتكأهم ربُّنا،
يشبه متكأنا، يا أحبّائي،
إندهشوا وأيضًا شبعوا،
واغتذوا نفسًا وجسدًا.

ففي هذا الخبز (الكثير)
اختفت مأثرة كبيرة.

---

(١) نأكل ونشرب مع الرسل في معجزة تكثير الأرغفة (مر ٦: ٣٠-٤٤؛ مت ١٤: ١٣-٢١؛ لو ٩: ١٠-١٧؛ يو ٦: ١-١٤)، في عرس قانا الجليل (يو ٢: ١-١٢)، نتحاشى أن نأكل كالحيوان، وخصوصًا لا نأكل مثل آدم من شجرة معرفة الخير والشرّ فنُحرَم من شجرة الحياة. يتضمّن هذا الميمر ١١٠ بيوت من الشعر، وينقص فيه بيت واحد بسبب تشويه المخطوط. نقرأه في ص ١٠٥-١٠٨؛ وفي الترجمة ص ٨٨-٩٥.

(٢) كما كان الرسل حين كثّر يسوع الأرغفة، نحن نأكل في ولائمنا ونشكر.

(٣) الجسد له طعامه: المائدة، وهي منظورة. وللنفس التعليم الذي يدخل القلب في الخفاء.

في الجلاء، راحة للجسد،
وراحة للنفس في الخفاء.
ما توقّف أكلُ الجسد
والعقل ما اندهش.

دهشة قبل الطعام[٤]

ما توقّف الفمُ عن الابتلاع،
واللسان عن التسبيح،
فلو وُزن هناك
الشكر مع المأكل،
لتفوّق التسبيح على المأكل
تفوّقًا كبيرًا.

ولكنّهم ما ابتلعوا

هكذا فقط سبّحوا.
واحدًا بمئة وهبوا التسبيح.

اختطفوا الخبز حين رأوه، أكلوا،
تعجّبوا حين رأوا الآية[٥] واندهشوا

(٤) سيطرت الدهشة على الرسل، أكثر من الطعام.

(٥) يو ٦: ١٤: «رأى الناسُ الآية (ا ت ا) التي صنعها يسوع».

لتتشبّهْ بموائدهم
مائدتُنا، يا أحبّائي.

في قانا[٦]

ونحن أيضًا نندهش ونشكر،
أن يجري الشبع من الجفنة،
وتنبع الخمر من الأغصان،
ومن الخشب كلُّ العذوبة.

هذه هي معجزة عظيمة،
مثل معجزة صنعها ربُّنا.
هناك صنعها جليًّا،
وخفيًّا يصنع كلَّ يوم.

من هذه الخمرة في الأجاجين[٧]،
أكثر السُبحَ لدى الشاربين.
خمرة قليلة في الأجاجين
ولدى الشاربين سُبحٌ كبير.

---

(٦) هنا، كما في قانا، يخرج الخمر من خشب الكرمة. يا للمعجزة! والخمر القليل الذي كان في الأجاجين جعل الرسل يرفعون التسبيح.

(٧) ا ج ن ي. هكذا دُعيَت في إنجيل يوحنّا: قال لهم يسوع: املأوا (م ل و) إيّاها (ا ن ي ن) مياها (م ي ا) الأجاجين (ا ج ن ي). يو ٢: ٧.

صارت الأجاجين جفنات،
بربّنا صانع كلّ جديد.

لا نأكل كالحيوانات

مبارك الفلاّح الذي في ابن يومه[٨]،
نصب كرمًا وعصر خمرًا.
هكذا يليق بالآكل،
أن يأكل ويندهش ويسبّح.
هكذا يليق بالشارب،
أن يشرب ويندهش ويبارك.

معجزة السمنة من الجفنة،
وعصير الخمر من الخشبة.
خرج الرطب من اليابس،
والسمن من الضعيف.

البعير أعمى لا يتبيّن
ليأخذ أكله باندهاش.
فالحيوان مُعدَم الفهم،
ليدرك هذه (المعجزة) في الزروع.

(٨) ب ر. ي و م ه: في اليوم عينه. لا يمكن أن يُنصب الكرم ويُجمَع العنب وتُعصَر الخمر. ومع ذلك، حصلت هذه المعجزة في قانا الجليل. أما نندهش؟

أنت كالحيوان تأكل،
فكُلْ إذًا لحمًا حيًّا.
وإن تشبّهت بالبعير،
فكلْ إذًا من أكلِه.

تأكل كالإنسان

إن كان مأكلك مميَّزًا،
يكون شكرك متواصلاً.
وإن شربتَ بتميّز،
تسبِّح أيضًا كالعارف.
مميّز أكلك عن أكل البعير،
وفمك مثل فمه أخرس.
أنت لا تشرب كالحيوان،
وكالحيوان تكون صامتًا.

لا بالأكل والشرب فقط،
أنت أفضل من الحيوان.
بل بالحبّ والسُبح،
والتهاليل والتراتيل.

يطلب الإنسان ما هو للجسد،
لأنّه أعظم من الحيوان،

وإن طلب الجسدُ ما له،
فليطلب الوجدان ما له.

الجسد لا يشوّه بيته،
فيُحتقر مع الحيوانات،
فهو يطلب وقاره،
لئلاّ يُستعمل مثلها.
والوجدان يُصغّر نفسه
إذا شابه الكلاب.

آدم والثمرة[٩]

يكفي أبانا آدم،
أن يكون شابه الحيوانات.
أكلَ الثمرة وما سبَّح،
فسبِّحْ أنتَ على كلّ شيء.

هو ما سبَّح الله،
فأكل مثل إنسان متمرّد.
كان أكثر نكرانًا من الحيوانات،
التي تسمع لربّها.

(٩) أكل آدم الثمرة المحرّمة مثل حيوان وما شكر الله. بل خطئ. وهكذا اختلف عن ربّنا الذي شكر على الخبز (يو ٦: ١١).

قطف آدم وما سبّح،
وربّنا سبّح وكسر[١٠].
فكما أوفى ذنوبه[١١]،
على الخبز أوفى الشكر.

ربّنا شكر ونحن نشكر[١٢]

بدل الذي أنكر التسبيح،
من يقدّم التسبيح؟
التسبيح الذي سبّحه ربّنا،
أوفى عنّا كلّنا.

بما أنّنا ما شكرنا على مائدتنا،
لا تقبلنا مائدتُه.
وإذا شكرنا على مائدتنا،
يحسبنا الصالحُ أهلاً لمائدته.

ذاك الذي سبّحنا لأنّه أنعم علينا،
يحسبنا أهلاً لنعيمه، هو الحيّ.
له المجد هنا وهناك،
والشكر في العالمَين.

---

(١٠) مت ١٥: ٣٦: وسبّح (و ش ب ح) وكسر (و ق ص ا). في مت ١٤: ١٩: «وبارك (ب ر ك) وكسر» (و ق ص ا). رج مر ٦: ٤١.

(١١) ف ر ع. أوفى الربّ ذنوب آدم، كما أتمّ (ف ر ع) الشكر (ت و د ي ت ا) على الخبز.

(١٢) ربّنا شكر عنّا كلّنا. فلنشكر من أجل مائدتنا فيحسبنا أهلاً لمائدته.

الميمر الرابع

مثل إيليّا وأليشع وحزقيال[١]

نشكر بعد الأكل

توجّهوا يا إخوتي إلى التسبيح،
لأنّكم توجّهتم إلى المأكل.
بما أنّ قلبنا لدى الخبز،
ليكن أيضًا لدى الشكر.

وبما أنّ الشراب جميل ومحبوب
هكذا التهليل محبوب[٢]
وكما الفواكه عذبة،
أكثرُ منها المزامير.

أشهى من الأطعمة، الأغاني،
ومن الحلاوة، التهليلُ.
وأشهى من الخبز، أجمل الكلّ،
الحبُّ الذي يُحيي الجميع.

---

(١) بعد أن نأكل نشكر. وترد أمثلة من الكتاب المقدّس: إيليّا، حزقيال، أليشع، هيرودس، أبناء عالي، بنو إسرائيل في البريّة وأمام العجل الذهبيّ. يرد الميمر في ٥٤ بيتًا من الشعر.

(٢) نقرأ لفظين: ر ح ي م ا. ثمّ: ح ب ي ب.

نسرع إلى الشكر كما إلى الأكل[٣]

ما من أحد يأكل برخاوة،
فلا يسبّح الإنسانُ بتكاسل.
نلتهم يا إخوتي بنشاط،
وبيقظة نعطي السُبحَ.

طُلّق الجوع الذي يبلبل،
فلا يتبلبل شكرُنا.
وهدأ الظمأ الذي يعكّر،
فلا يتعكّر تسبيحنا.

قبل الخبز، يجب
أن يشكر فمنا ويزهو.
وكما شبعنا الآن،
نزهو ونهبُ السُبحَ.

الأنبياء شكروا[٤]

بارك الأبرارُ وهم جائعون،
لنشكر نحن في شبعنا.

(٣) نحن نسرع إلى الطعام، فلماذا نتوانى في الشكر. فحين يزول الجوع العطش يبدأ الشكر. إن نحن شكرنا قبل الطعام، فبالأحرى بعده.

(٤) نبارك الله الذي وهبنا طعامًا لم يعرفه إيليّا وحزقيال وأليشع.

كان لهم الماء والبقول،
والأطعمة والخمور لنا.

بدل كعكة إيليّا[٥]
نبارك مَن أكثر لنا التنعّمات.
وبدل أكل ابن بوزي[٦]،
نبارك من أكثر لنا الطيّبات.

جاعت السامرة كثيراً[٧]،
مبارك من أشبع مخيّمنا.
وكما الزقّ والجرّة نبعا[٨]،
مبارك من أحضر لنا طيّباته.

بدل الطبق في القدر[٩]،
والفريك في المنديل[١٠]،

(٥) ح م ر و ت ه. د ا ل ي ا. ١ مل ١٧: ٩-١٦. مضى إيليّا إلى صرفت صيدا (الصرفند. لبنان الجنوبيّ) فاستقبلته أرملة ليس عندها سوى كمشة من الطحين وبعض الزيت. فقال لها إيليّا: «اخبزي أوّلاً قرصًا صغيرًا» (آ ١٣). نقرأ في البسيطة: ك ك و ل ت ا (قرصًا) ز ع و ر ا (صغيرًا) ق د م ا ي ت (أوّلاً).

(٦) هو حزقيال (حز ١: ٣).

(٧) خلال حصار قام به الأراميّون (٢ مل ٦: ٢٤-٣٣).

(٨) إشارة إلى ما صنعه أليشع ليدفن ديون أرملة. ٢ مل ٤: ١. فاض الزيت في الأباريق وسائر الأواني.

(٩) نعود إلى ما صنعه أليشع. في ٢ مل ٤: ٣٨. قال النبيّ: «ضع الطنجرة (ق د س ا) الكبيرة (ر ب ا) واطبخ طبيخًا (ب ش ل. ب و ش ل ا) لبني الأنبياء».

(١٠) ذاك ما أعطى بوعز لراعوت (را ٣: ١٥).

مبارك من رتّب فأكثر لنا،
كلَّ الطيّبات في أطباقنا.

وليمة هيرودس[١١]

بدل طبق هيرودس[١٢]
الذي أدخل الموت إلى المتّكئين،
نبارك من أدخل إلى متّكئنا،
أواني مليئة بالعذوبة.

بدل شراهة بيت عالي[١٣]
التي خطفت اللحم الحيّ،
مبارك من وهب لنا باعتدال
طعامًا معتدلاً ولذيذًا.

بدل الشعب الذي قرف وتقيّأ،[١٤]
ها على مائدتنا الاعتدال.

---

(١١) اختلف هيرودس كلّ الاختلاف عن هؤلاء حين قدّم رأس النبيّ على طبق. وكذلك ابنا عالي، الكاهن (١ صم ٩: ١ي) اللذان أرادا لحمًا نيّئًا فتكون حصّتهما قبل حصّة الله. وبنو إسرائيل قسموا الطعام الذي أعطي لهم. فلا نتشبّه بهم. حملوا الصنوج أمام العجل الذهبيّ. أمّا نحن فننشد المزامير لربّنا.

(١٢) هكذا قدّم هيرودس لهيروديّة رأس يوحنّا «على طبق» (مت ١٤: ١١).

(١٣) ١ صم ٢: ١٥: يأتي خادم ويطلب لحمًا للشوي.

(١٤) عد ١١: ٢٠: «يخرج من أنوفكم ويصير لكم بشمًا».

هم أكلوا وشربوا ولعبوا[١٥]،
ونحن نأكل ونشرب ونسبّح.

بدل الصنوج قدّام العجل،
تنشد كنّارتُنا لربّنا.
وبدل أقوال الشراهة،
يُرعد السُبحُ من جمعنا[١٦].

(١٥) هذا ما فعل العبرانيّون أمام العجل الذهبيّ: «وجلس (و ي ت ب) الشعب (ع م ا) ليأكلوا (ل م ا ك ل) ويشربوا (و ل م ش ت ا) وقاموا (و ق م و) ليضحكوا (ل م ج ح ك) وليلعبوا (و ل م ش ت ع ي و). خر ٣٢: ٦.

(١٦) نقرأ في النهاية: «كمل الميمر الرابع للتسبيح على المائدة». قرأنا هذا الميمر في ص ١٠٨-١٠٩، والترجمة ص ٩٥-٩٩.

الميمر الخامس

معجزات طبيعيّة[١]

الخبز والخمر[٢]

ها المعجزة في الخبز، يا إخوتي،
وداخل الشراب العجيبة.
طعمَ الخبز والخمر،
يدرك الفمُ بجلاء.

في خلق الخبز والخمر،
يندهش القلب في الخفاء.
كلّ مُتقَن أتى إلينا،
نطلب الأمرين الأمرين[٣].

نأكل الخبز ونسبّح،
لأنّه من التراب الحقير خرج.

---

(١) الطبيعة تقدّم المعجزات: الخبز، الخمر، النار، الحرارة، والمحبّة: لا تأكل قريبك خلال المأدبة، أي لا تثلبه صيته. وكان مثلان: شاول وداود، يوسف وإخوته. يتألّف هذا الميمر من مئة بيت من الشعر.

(٢) حين نأكل الخبز ونشرب الخمر، نمدح الخالق لأجل معجزة الخبز والخمر.

(٣) أي عمل الطبيعة وعمل الإنسان.

نشرب الخمرة ونبارك،
لأنّه خرج من ثديَي الجفنة.

ما تفعله النار[٤]

وعلى الزيت[٥] نتلو السُبحَ،
فهو ينبع من الشوك القاسي،
نشكره على كلّ شيء،
أُعدَّ بواسطة النار.

إن كانت النار لا تُؤكَل،
فهي تهب الطعم إلى ما نطبخ.
الحرارة هي في الطعام،
ما دامت النار لم تُقطَع.

هي هناك وما هي هناك،
هي نار داخل الطبيخ،
حرارتُها قريبة،
ولهيبُها بعيد.

حلّت هناك قوّتُها الخفيّة،
فصوّرت السرَّ الجليّ.

---

(٤) هي تعمل في الطعام فتنقل إليه حرارتها.

(٥) نحتاج الزيت لكي نطبخ الطعام. بل نستعمله أيضًا من أجل الإنارة.

الحرارة تشبهها في القدرة،
ولا تشبهها في شيء آخر.

تشبهها بالحرارة والقوّة،
وفي اللون لا تشبهها،
بهذه يدهش الآكل،
بتلك يُعجَب الشارب.
نأكل ونشرب ونسبّح
الربّ، بهذه وتلك.

عمل الشرّير[٦]

الشرّير يعلّمنا، يا إخوتي،
أن نتشاتم على أكلنا.
حيث يليق بنا أن نكون صدّيقين،
هناك نخطأ ونزيد.
وحيث ينبغي أن نبارك،
هناك نتعلّم اللعنات.
تافه، مالح أو مخلّل،
هناك شُتم كلُّ إنسان.

(٦) هو يحثّنا على الخطيئة خلال مآدبنا. فنفتري بدلاً من أن نبارك، نقول السوء عن الآخرين ولا نتذكّر أبانا السماويّ.

على الذين في الداخل وعلى الذين في الخارج،
الملامة والاتّهامات.
على خمرنا وعلى مائدتنا،
ينبغي لنا أن نذكر الآب.

شاول وإخوة يوسف

حين يأكل إنسانٌ أو يشرب،
لا يذوق طعم الحيوانات.
مع اللحم الذي أكله شاول
أكل لحمَ داود[٧].
ومع الخمرة الظاهرة التي شرب،
شرب دمه في الخفاء.

يوسف أكله إخوتُه
لأنّهم في الخفاء أكلوا لحمه.
باعوه وجلسوا يأكلون[٨]،
وتنعّموا وتخلّصوا منه.

(٧) ١ صم ٢٠: ٢٤. «فلمّا كان أوّل الشهر، جلس الملك للطعام». ولكنّه أراد أن يأكل لحم داود ويشرب دمه، في محاولات عديدة لقتله.

(٨) تك ٣٧: ٢٥: «ثمّ جلسوا يأكلون». ما اهتمّوا بأخيهم. وفي النهاية باعوه ليستريحوا من أحلامه، التي تدلّ، في الرمز، على مخطّط الله.

فرح يوسف بإخوته[٩]

يوم سمعوا أحلامه[١٠]،
في ذلك اليوم كان لهم الخبز.
ما جازاهم على فسادهم،
حين تنعّموا على مائدته.

ما استعذب الخبز في مصر،
مثل ذاك الذي أكل مع إخوته.
ولا استعذب خمر فرعون،
كما شرب مع أحبّائه.
كان إكليل إخوته أجمل له،
من التاج على رأس فرعون.

مزج يوسف الخمر والحبّ

في الشراب الذي شرب مع إخوته،
مزج حبّهم بالخمر.
ما استعذب الخمر التي شرب،
كما استعذب حين رآهم.

استعذب الخمرَ قليلاً،
وحبَّهم أكثر بكثير.

---

(٩) ودعاهم إلى مائدته. تك ٤٣: ٣٠ي.

(١٠) تك ٣٧: ١-١١. في الواقع، رأى حلمين. إخوته حسدوه. أمّا أبوه فحفظ كلّ هذا في قلبه

رأى الشاربُ حبيبَه،
ومع الخمر شرب الحبّ.
وإن هو رأى مبغضيه،
شرب الغضب مع شرابه.

نمزج الحبّ لإخوتنا

نمزج الخمر التي في كؤوسنا،
بحبّ أحبّائنا الجميل.
تركض الخمرُ في شراييننا،
وينزل الحبّ في أفكارنا.

ينزل المأكل إلى البطن،
وتبقى الصلاة في الوجدان.
إن كان مأكلُنا بلا طعم،
ليكن الطعمُ في وجداننا.

إن تقاتلنا مع من لا طعم له،
صار فكرنا بلا طعم.
وإن غضبنا على من فيه ملح،
فلا ملح لوجداننا ولا طعم.

وإذا شتمنا مَن الخلّ فيه،
فليس هذا قوتنا إلى الأبد.

تلك الأبديّة المخفيّة
تبدو بلا طعم وبلا ذوق

أمّا الأطعمة الزمنيّة ففسدت،
لأنّها ليست بنت يومها،
وحتّى متى نقول هذه،
يا إخوتي، ونقول مثل هذه؟
يكفي هذا التوبيخ،
حيث أقول ولا أفعل.

الميمر السادس

الشكر والتسبيح في ولائمنا[١]

البركة والشكر

بدأنا، يا إخوتي، ونتقن،
ونكمل أيضًا ونميّز.
قبْلَ خبزنا نبارك،
ونشكر بعد أكلنا.

بين الشكر والتسبيح،
نجعل الطعام في الوسط.
بين السبح والتهليل،
يدخل شرابُنا باعتدال.
في رأس بدايتنا، التسبيح،
وفي النهاية الشكر.

الماء والسلوى للشعب[٢]

شرع الشعب ينقلب،

(١) يرد هذا الميمر في ١٤ شعرًا، ويطلب أن تكون المباركة في قلب ولائمنا.

(٢) عاد أفرام إلى العبرانيّين في البريّة. أكلوا لحم السلوى وما شكروا. شربوا الماء من الصخر وما باركوا.

وعاد فاستسلم للشرّ.
فقبل أن يأكلوا، ما سبّحوا،
وما باركوا بعد أن شبعوا[٣].
ما هنئوا بلحم أكلوه،
لأنّهم ما باركوا واهبه.
وهبَ شرابًا من الصوّان[٤]،
وما اندهش الشاربون وشكروا.
فلنشكره على ينابيعه،
التي لا تنفد كنوزها أبدًا.

الخبز الذي نناله[٥]

هو لا يحتاج إلى المباركات،
بل أراد لنا أن نتعلّم اللياقة.
فأيّ ضرر يكون
لمن ضمّ شكره إلى أكله.

ما اشترى بالوزن الثقيل
هذه التسبحةَ المجّانيّة.

(٣) بدأوا يتذمّرون. «كنّا نجلس عند قدور اللحم» (خر ١٦: ٣). وأضافوا: «كنّا نأكل حتّى نشبع». ثمّ قال النصّ: «عند المساء، صعد طير السلوى» (آ ١٣).
(٤) خر ١٧: ٧: «اضرب، يا موسى، الصخرة، فيخرج منها ماء يشرب منه الشعب».
(٥) يدفعنا إلى أن نسبّح الله ونشكره، فتصبح عاطفتنا فينا أمرًا طبيعيًّا.

فُتح بابُ الحنان،
الذي يُعظّمنا في شكرنا.

فكما يهب لنا القوت،
يضيف أيضًا التهليل.
وكما يُحيي الخبز المنظور،
يحيينا السبحُ الخفيّ.
فمن استهان بالتسبيح
يستهين بالخبز أيضًا.

كما الخبز للجسد السبح للنفس[٦]

الخبز يشهد على التسبيح،
الذي به الأنفس تحيا.
فالجسد ميت بدون الخبز،
وبدون تسبيح، النفس مريضة.

الشرهُ يهتمّ بالجسد،
وبالنفس يهتمّ الصائم.
اللحم يربّي النهِم،
والتعليمُ الحكيمَ.
للأكل لقمةُ (خبز) ودم،

(٦) إذًا، حين نأكل لا نفصل الواحد عن الآخر. فإن نسينا التسبيح لم نعد بشرًا.

وللزاهي السُبحُ والشكر.
المأكلَ والشكرانَ
نعطي للنفس والجسد.
بالمأكل والصلاة،
يقوم الجسد والوجدان.

الزرع والحصاد

بالعمل يفتدي الجسد،
والنفس والروح بلا عمل.
فبلا زرع ولا حصاد،
الروح يحيي النفوس.

الغلاّت من وقت لوقت،
وفي كلّ وقت الصلوات.
ما هو ثقيل قليل،
وما هو سهل صعبٌ علينا.

المأكلُ يكثر العمل،
والشكر بلا عمل
له المجد من الكسالى
المسرعين إلى المائدة.
هبوا التسبيح يا خاملون
يا من تجدّون لتأكلوا.

الميمر السابع

نكران الجميل لدى ابني إسرائيل[١]

بين العنب والعجل الذهبيّ

الناكرون رأوا العنقود،
الذي أدهش الجميع بمنظره.
فما باركوا صانعه،
ومبدعَه ما سبّحوا.

سبّحوا العجل المسبوك،
وباركوا إتقانه.
مع أنّ العنقود كان وافرًا،
بالجمال والشبع.

العنقود والمرجان

المرجان جميل جدًّا،
وجمالُه لا يُؤكل.
أمّا جمال العنب،
فكلّه معين الطيّبات كلّها.

(١) الموضوع: عنقود العنب الذي جلبه أولئك الذين جسّوا الأرض وتعرّفوا إليها. «وقطعوا من هناك غصنا بعنقود واحد من العنب، وحملوه لنقله بعتلة فيما بين اثنين منهم» (عد ١٣: ٢٣). وسُمّي الوادي أشكول (في السريانيّة «ا ش ج و ل ا» كما في العبريّة. يتألف هذا الميمر من مئة بيت من الشعر.

جميل منظر البلّور،
وليس بطعام مع جماله.
في الكروم وُضعت كنوز،
جداولُ كلِّ عذوبة.

به (يا ربّ) زيّن تابوت العهد،
بحجارة لا تُؤكل.
فللشعب أتى. بالثمار
العذبة ليأكلوا.

اختار له ما لا يؤكل،
ليبيّن أنّه ليس بجائع.
وهبَ للبشر كلَّ شيء
ليبيّن أنّهم يحتاجون كلّ شيء[٢].

العنقود والشعب[٣]

العنقود المتساوي الحبّات، يوبّخ

(٢) قابل الشاعر بين شيئين كريمين: المرجان والبلّور من جهة، وعنقود العنب من جهة أخرى، الجمال هو هنا وهناك. أمّا العنقود فللبشر، والحجارة الكريمة لتابوت العهد، رمز حضور الله وسط شعبه.

(٣) نجد التباين الكبير بين صفات العنقود واستعدادات الشعب السيّئة، وذلك قبل أن يتذوّق العنقود.

الشعبَ الذي تقسّم وجدانه.
جمعُ العنب المتآلف،
دخل إلى جماعة المنقسمين.

جميل هو العنقود ومرتَّب،
والشعب مضطربٌ ومبلبل.
في العنقود عذوبة،
ومرارة في الشعب.

بلبلة أمام العنقود

حين رأى الشعب العنقود أيضًا
ازداد بلبلة.
بثمار صامتة وهادئة،
ازدادت الضجّةُ في الشعب.

أبطلوا السبحَ الواجب،
وصوتَ الشكر الذي يليق.
بدل السبح أرعدوا،
وزمجروا وما شكروا.

إسرائيل كرمة مرّة...

الكرمة التي خرجت من مصر[٤]،

(٤) هذا ما يدلّ على الكرمة (أش ٥: ١ي) التي يتحدّث عنها أشعيا، فتكون رمزًا للشعب العبرانيّ الذي جاء من مصر.

عنبُها عنبُ المرارة.
فالعنقود بيّنَ، بواسطة القضيب،
سرَّ الصليب الجميل[٥].

بيَّن لهم التين فتحسّروا،
وما ابتهجوا كما يجب.
رأوا التين في البريّة البغيضة،
وما تعزّى الناكرون.

فالعنب في البريّة،
مثل التين المبكِّر.
طلب الله وجهَهم،
أمّا هم فوجهَ العجل.

رأوا الثمار وما باركوا،
وما سبّحوا حين جاعوا.
كيف ينبع الرطب؟
وكيف تجتمع الحلاوة؟

من صنع الحجارة
بالألوان دون صبّاغ[٦]؟

(٥) يكون القضيب في العرض، والعنقود يقطعه فيتكوّن الصليب.
(٦) نقرأ هنا لفظين. ص ب ع: صبغ. لوّن. ثمّ «س م م ن ا: صباغ، دواء، علاج.

ومن ولّد العذوبة،
من جذور غضوبة؟
وبأغصان بعدُ مرّة،
جعل الشراب العذب يركض.

... منذ القديم

به مزجَ الحقُّ
الحقيقة التي ما حفظوها أبدًا.
أبناء يعقوب وإسحق وإبراهيم،
حوّلوا الحقيقة كذبًا.
جذورهم عذبة،
أمّا ثمارهم فمرّة.
جميل جذر إبراهيم،
وأغصان سارة عذبة.
مرًّا كان تذمّرُ[٧]
هذا الشعب ابن إبراهيم.
وشديدًا كان تذمّر
الاستخفاف الذي كان من سارة[٨].

---

(٧) التذمّر وجهة هامّة من حياة الشعب العبرانيّ حين كان في البرّيّة. رج خر ١٥: ٢٤ (ماذا نشرب؟)؛ ١٦: ١٢ (بالنسبة إلى اللحم وطير السلوى). عاد آباء الكنيسة إلى موقف العبرانيّين لينزلوهم من عليائهم.

(٨) بدأ التذمّر منذ سارة، أم هذا الشعب. هذا ما كان منها حين بشّرها الله بابن «في شيخوختها». نقرأ في تك ١٨: ١٢: «فضحكت سارة» لأنّها لم تصدّق. قرأنا «م و ش ا» نستطيع أن نقول موسى نبيّ الله، ولكنّنا لم نرَ له مكانًا هنا. فاقترحنا «استخفاف» (م ر ش ا).

رأى العنقود وما اشتهى[٩]،
بل اشتهى التوم والبصل.
رأى التين وما تعزّى،
فتطلّع إلى الكرّات.
لأنّ الموهبة كانت له،
ما حسنَتْ وإن كانت حسنة.
اشتهى التومَ والبصل،
ليأكل بين الوثنيّين.
انتحبت نفسه فتذمّر،
وتمرمرَ حين رأى الثمار.

بين الحلاوة والمرارة[١٠]

أي من الاثنين يُقبَل،
يا ناكر الجميل؟
إن انتحبتْ نفسُك، فاقبل
ثمارًا مليئة بالوهن.
وإن استفظعتَ الثمار
فلأنّ نفسك امتلأت بُغضًا.
التين والعنبُ[١١] إن أُبغضا،

(٩) عد ١١: ٥: «نتذكّر السمك الذي كنا نأكله في مصر مجّانًا، والقثاء والبطّيخ والكرات والبصل والثوم». العنقود عطيّة الله، أمّا الثوم والبصل فسن أجل المشاركة مع الوثنيين.

(١٠) الثمار تعطي الحلاوة، أمّا الشعب العبرانيّ فمنه المرارة والتمرمر.

(١١) يُذكر التين والكرم معًا، كرمز أرض الموعد التي يسودها السلام. ر ج ١ مل ٤: ٢٥؛ مي ٤: ٤.

ففي الصحراء يُحبّان كثيراً.
فكر كانت جدّ جميلة
في طبعها، هذه الطيّبات!
الثمار الحلوة لا تُحلّي
إراداتهم المرّة.
التين يهب الحلاوة،
ووجدانهم المرارة.
بالتينات الطيّبات، وبّخْ
الأشرار الذين أنكروا النعمة.

الميمر الثامن

إسرائيل أمام المنّ[١]

نكران الجميل[٢]

أدّوا، يا إخوتي، قول التسبيح،
من أجل المتقَنات التي قدّامنا.
فلا يكون لنا كالعبرانيّين،
الذين تذمّروا على خبز شهيّ.

للمختونين وهب المنّ،
فما اندهشوا من مذاقه.
واحد هو وبأكثر من طعم،
فما تعجّبوا من مميّزاته.

كان الخبز أيضًا طبيخًا،
وما شكروا تحوّلاته.
لونُه بيَّن كلَّ طعم،
فما سبّحوا مزْجَه.

(١) ثلاثة مواضيع هنا: تذكّر الشعب أمام المنّ. لعازر والغنيّ، صلاة البركة تبقى سهلة إن نحن شئنا.
يتألّف هذا الميمر من ٨٦ بيتًا من الشعر. وقد قسّمناها مقاطع بحسب طريقة أفرام.

(٢) أعطي لهم المنّ بطعمه الحلو (خر ١٦: ٣١). هو منّة الله وعطيّته، ومع ذلك، ما شكر الشعب.
هو طبخ كاملٌ له طعم لذيذ كطعم الكزبرة. هذا ما قال التقليد اللاحق، رج مز ٧٨: ٢٤-٢٥.

بدل الدهشة كان الضجيج،
والتذمّر بدل التسبيح.

عقاب العبرانيّين[٣]

عضّتهم الحيّات[٤]
التي ما تذمّرت على التراب[٥]
وأكلتهم أيضًا النار[٦]
التي تستعذب كلّ شيء.

وابتلعتهم[٧] أيضًا الأرض
التي صمتت حين داسوها[٨]
في هذه البريّة المخيفة،
سقطوا، وهي ما تذمّرت مع أنّها فارغة[٩].

(٣) تمّ هذا العقاب بواسطة الحيوانات وعناصر الكون. في سفر الحكمة، اعتبر الكاتب أنّ المصريّين نالوا العقاب من الماء والحيوان، أمّا هنا، فالعبرانيّون، وتُذكر بعض الأحداث من مرور الشعب في البريّة.

(٤) عد ٢١: ٦: «حيّات ناريّة لدغت الشعب ومات قوم كثيرون». وذلك حين تذمّروا لنقص في الخبز وفي الماء. في السريانيّة: ح و و ت ا (حيّات) ح ر م ن ي (ضاريات، ثعابين) و ن ك ا و هـ ي (ونكآت، وأساءت) ل ع م ا (الشعب).

(٥) أعطيت الحيّة التراب مأكلاً (تك ٣: ١٥) فما تذمّرت. والعبرانيّون تذمّروا على المنّ.

(٦) عد ١١: ١: «وتذمّر الشعب على مسامع الربّ، فسمع الربّ واشتدّ غضبه فعبرت بينهم نار الربّ».

(٧) عد ١٦: ٣٠: «فتحت الأرض فاها فابتلعت (ب ل ع) ما لهم وهبطوا أحياء إلى الشيول».

(٨) داسوا الأرض وما تذمّرت. أمّا هم فتذمّروا لأتفه الأمور. لهذا جاء إليهم العقاب ساعة كان الربّ يطعمهم ويسقيهم.

(٩) د ب ر ا: البريّة. لا شيء فيها ومع ذلك لا تتذمّر. والشعب يتذمّرون مع كلّ مواهب الربّ.

بالسلوى التي سألوا تعذّبوا[١٠]،
فالأكلُ أدَّب آكليه.
سألوا اللحم وهم أناس من لحمٍ
ومثل حيوان مفترس أكلوه.
ما اندهشوا حين أكلوه
فخرج من مناخيرهم[١١].

تقيأوا بالمنخرين

ما وهب فمُهم التسبيح،
فكان الأكل مرًّا في حنكهم.
فالمنخر الذي فوق الفم
دان فمًا لم يُسبّح[١٢].

لا بحسب طبيعته، تقيّأ
اللحمَ الذي أكلَه بحسب طبيعته.
وهبه الربّ، لا كالعادة،
لشرهين وأشرار فالتهموه.

---

(١٠) عد ١١: ١٨: ستأكلون لحمًا (ب س ر ا). وأخذ أقرام بالمعنى الروحيّ كما عند بولس الرسول. نقرأ في غل ٥: ١٣: ولا تكون حريّتكم لعلّة اللحم (ب س ر ا). وأعمال «ب س ر ا» معروفة.

(١١) عد ١١: ٢٠: ع د م ا (حتّى) ن ف و ق (يخرج) م ن. ن ح ر ي ك و ن (من مناخيركم). أي تصيبكم التخمة (ا ف ت ر ا).

(١٢) المنخر (الذي يجعل الإنسان قريبًا من الحيوان) فمهم، والفم الذي خُلق للتسبيح، لم يفهم. ولهذا نالته دينونة (د ن ه).

ما سبّحوا ربَّ الطبائع،
لأنّه بدّل الطبيعة هناك.
وهب لنا نمطًا[١٣] في العناصر،
لكي نسبّح على مأكلنا.
قبل الخبز وبعد الخبز،
بيّنَ لنا كيف نتلو التسبيح[١٤].

لعازر والغنيّ[١٥]

ينبغي أن نؤدّي السُبحَ
على القليل وعلى الكثير.
الشرهُ يشكر لأنّه شبع،
والمتميّز لأنّه جاع.

ذاك الغنيّ ما بارك
على مائدته، بسبب الشراهة.
ولعازر على بابه،
كان يتمنّى الفتات.

---

(١٣) ط و ف س ا. tupos. أراد الربّ أن يقودنا إلى أبعد من اللحم الذي يأكله الإنسان والحيوان.

(١٤) الإنسان يأكل اللحم بطبيعته. ولكنّ العبرانيّين ما استطاعوا أن يأكلوه لأنّهم ما عرفوا أن يشكروا الله. وهكذا تبدّلت طبيعة اللحم حين تبدّلت طبيعة الإنسان. نحن هنا في خطّ تك ٣: ١٧ حيث صارت الأرض ملعونة بسبب الإنسان. انحدر فانحدرت معه. وحين يتجلّى تتجلّى هي معه (روم ٨: ٢١-٢٢).

(١٥) لو ١٦: ١٩ي. جاءت المقابلة بين الغنيّ الذي ما بارك مع أنّه نال الكثير، ولعازر الذي ما نال حتّى الفتات. ومع ذلك سبّح الله. هو بعيد عن العبرانيّين الذين تذمّروا مع أنّهم ما جاعوا.

ومع أنّه ما تقبّل الفتات،
وهب السبح بدل الضجيج.
شبع الشعبُ فتذمّر،
وبارك لعازر وإن جاع.

لأنّه أشبعنا نعطي المجد
مثل ذاك الذي ما نال الفتات.
ثمّ نشكر أيضًا لأنّه أفاض علينا،
ونعطي المجد ونُفيض.

إن تذمّرنا على المائدة
بلعازرَ كان (الله) ديّانًا لنا.
لذاك (= لعازر) الجوعُ مع الألم،
والمحنةُ والفقر.
ولنا المائدة والوقار،
والرزق والعافية.

الصلاة سهلة لا التعقّب[١٦]

مباركٌ من وهبَ لنا الكثير،
والقليلَ القليل وهبْنا له.
كيلُ سُبحنا هو فمنا،

(١٦) الصلاة سهلة ومفيدة. أمّا التعقّب (ع و ق ب ا) والتفحّص (ب ص ت ا: التبصّص وكأنّنا نريد أن ندخل في سرّ الله) فيبدوان بسيطين ولكنّهما صعبان وفي النهاية يُسيئان إلينا.

ولسانُنا قياسُ كلامنا.
نمدّه (= لساننا) أو نتجاسر،
لنبلغ حيث لا يُبلَغ.

سهلٌ البحث وإن صعبًا،
ومتعبة الصلاة وإن بسيطة.
صغيرٌ الإعجاب الذي يعين،
ولكن التفحّص يتواصل ويُكثر.

هو يُتعب الحبّ ويفرده،
فيدخل فينا التكبّرُ ويصنع قنّه.
يأخذ أجنحة التوافق (بعيدًا)،
وأجنحةَ الخصام يفرش.

لاقانا التعقّب فبقينا فيه،
والاستقصاء البغيض كان مانعًا لنا.
اليومُ لا يكفي ليملأ كيله،
حلوٌ وعذب ما نخسر لأجله.

مبارك من طلب الأمور السهلة،
مبارك من طالب بالسيطة،
على قياس قوّتنا شكرُنا،
وفمنا يتلو التسبيح.

الميمر التاسع

شكر الله على الثمار[1]

في الأثمار الصامتة، نتلو
التسبيح لمزيِّن الكلّ.
موضوع الفردوس يقدّم شرحًا
على الثمار وعلى محاسنها،
وعلى الفواكه ورائحتها،
والتفّاح وطعمه.

في موضوع الفردوس تكلّمْ
على الفردوس الحقيقيّ.
وفي الجنّة الزمنيّة تكلّم
...

في موضوع الأشجار اشرحْ
حول شجرة المعرفة.
وحول آدم الذي أكل منها
...

(١) بقي من هذا الميمر البداية والنهاية. والباقي ضاع. فبقي ٢٤ بيتًا من الشعر.

العمل رمى الفلاّح (أرضًا)
في الفردوس أدّ الشكران.
على التين هبّ التسبيح
من أجل الذي دلّك[٢] على التسبيح.

صمت آدمُ وسط التين،
من أجل الأوراق التي كانت له معطفًا[٣]
...
في الناكرين الذين يصمتون
عن التسبيح ويبطلون.

ولكن في التميّز الذي يسبِّح،
كلُّ الخليقة كنّارة هي.
تهب السُبحَ لصانعها الإلهيّ،
بأقوال مليئة بالإعجاب.

(٢) ا ح و ك. أخوك. بدل أخيك. اقترحنا فعل «ا ح ي»، بيّن، دلّ.
(٣) تك ٣: ٧: «خاطا من ورق التين، وصنعا لهما مآزر».

الميمر العاشر

الشكر بعد الطعام[١]

المائدة وبيت عبادك[٢]

أيّها الصالح الذي يُقيت بحنانه
العلويّين والسفليّين،
ويوزّع كنز مراحمه
على البشر وعلى الحيوان.

بارك مائدة عبادك،
ساجديك الذين تنعّموا بها.
والمسكن الذي دخله تلاميذك،
إجعل فيه الأمان والسلام.
أكثِر الشبعَ في مأدبته[٣]
لأنّه يا ربّ، يريح أبناء بيعتك.

(١) هي صلاة شكر بعد الطعام، فيها يُدعى عبادُ الله الساجدين. فليبارك الله لهم المعجزات السابقة وليجدّدها. ما يُسمّى الميمر العاشر (ص ٢٩٥-٢٩٨، وفي الترجمة، ٢٨٣-٢٩٤) قُسم قسمين: العاشر والحادي عشر. تألّف الميمر العاشر من ٧٨ بيتا من الشعر.

(٢) بارك يا ربّ مائدتك وبيت عبادك.

(٣) أو مأدبتهم. أي مأدبة التلاميذ. أمّا المفرد فيعود بنا إلى البيت.

هابيل وأيّوب وإيليّا[٤]

تقبَّل يا ربّ قرابينهم،
على مثال هابيل[٥] البارّ.
وأفض يا ربّ مداخيلهم،
على مثال أيّوب الصدّيق.

وليكن شبعٌ للآكلين
كما الجموع في البرّيّة[٦]
من نال فيضًا يكثر فيضُه ويتبارك،
على مثال الكسر التي جُمعت[٧]،
وكما باركت الجرّة والزقّ،
في يدي إيليّا النبيّ.

جرّة القمح وزقّ الزيت

لا جرّةُ القمح نفدت،
ولا زقُّ الزيت نقص[٨]

---

(٤) إقبل تقدمات تلاميذك، كما قبلت تقادم هابيل. وأفض عليهم خيراتك كما مع أيّوب وإيليّا. نذكر هنا أنّ أيّوب استعاد مضاعفًا ما خسر في البداية. «زاده الله ضعف ما كان له من قبل» (أي ٤٢: ١٠).

(٥) تك ٤: ٤: «نظر الربّ إلى هابيل وتقدمته برضى».

(٦) مت ١٤: ٢٠: «فأكلوا كلّهم حتّى شبعوا»، بعد تكثير الأرغفة.

(٧) ق ص ي ا: الكسر التي جُمعت. رج أيضًا مت ١٥: ٣٨.

(٨) ١ مل ١٧: ١٦: «قصعة الدقيق ما فرغت، وخابية الزيت ما نقصت».

إلى أن وهب الربّ المطر،
والندى على كلّ الأرض.

بارِكْ غلاّتِ عبادك،
ليَنعم بها الساجدون لك.
ببركات بارك موسى
أسباط يعقوب الاثني عشر[٩].
بها يُبارَك هذا المسكنُ،
الذي وقَّر ابناه بيعتك، يا ربّ

اغفر للموتى وارحم الأحياء

وكما سامح موسى رأوبين[١٠]،
الذي مات في سنوات يعقوب،
سامح، ربُّنا، موتاهم،
وترحّم على أحيائهم.

ليفرحوا معك في جنانك،
في يوم يملك ظهورُك.
ليعودوا إلى نعمة

(٩) و هـ د ا (وهذه) ب و ر ك ت ا (بركة) د ب ر ك (التي بارك) موسى عبد الله لبني إسرائيل قبل أن يموت» (تث ٣٣: ١).

(١٠) في تك ٤٩: ٣، كان يعقوب قاسيًا على رأوبين بسبب زناه. أمّا موسى (تث ٣٣: ٦) فقال هنا: «يحيا بنو رأوبين ولا ينقرضون، ولا يكون رجالهم قلائل».

ابن الله الحيّ.
فلا إنسان يقدر أن يحيط،
ببحر حنانه العظيم.

عودة إلى قانا[١١]

يا من دُعيَ كإنسان،
إلى وليمة العرس، مع تلاميذه،
وصنع هناك معجزة (دلّت)
على أنّك الإله الخالق.

يا للسماويّ الذي أتى،
وملأ نقص وليمتنا،
ومن الماء صنع خمرًا،
وأبهج العرسَ كلّه.
أخذت الدهشةُ بالمدعوّين،
بآية جديدة صُنعت.

معجزة الأرغفة

حين علّم الجموع في البريّة،
صنع الآيات العجيبة.

(١١) يو ٢: ١-١٢. نقرأ: ا ز د م ن (لا: ا ت ق ر ي كما في البسيطة): دُعي. م ش ت و ت ا: وليمة العرس.

مرّتين اثنتين أشبع[١٢]
الجموع من خبز قليل.

وما استطاع الإنسان أن يحيط
بهذا الخبز الذي أكثر.
ولا الرسلُ حين أخذوه
أدرك كيف فاض!
فهذا خفيّ على البشر.

في أيدي الرسل

قبلوا الكسر من ربّنا،
كما تشهد لنا القراءة.
هذا ما هو في الحقيقة،
لأن من يقدر أن يتبيّن؟

على أيدي الرسل
كثُر الخبزُ وفاض.
من أيديهم ألقوه
لهذه الجموع التي اتّكأت.

(١٢) هي رواية أولى في العالم اليهوديّ (مت ١٤: ١٣-٢١ = مر ٦: ٣٠-٤٤)، ورواية ثانية في العالم الوثنيّ (مت ١٥: ٣٢-٣٩ = مر ٨: ١-١٠).

عند زكّا[١٣]

وحين دُعي إلى بيت زكّا،
صنع هناك عجيبة،
بدّل هناك الخاطفين
وجعل منهم واهبين
ردّ زكّا الواحدَ بأربعة،
من كلّ شيء اقتناه.

رسالة الابن

وعن هذا قال مخلّصنا،
في العلّيّة لدى التلاميذ:
أرسل الله وحيده[١٤]
ليلبس جسداً
فيعود كلّ إنسان عن إثمه،
ويُرجع ما قد باد[١٥].

(١٣) لو ١٩: ١- ١٠. حوّل «الخاطفين» (ح ط و ف ي) الذين سلبوا الناس، إلى واهبين يعطون الناس. قال زكّا: «أهب الفقراء نصف أموالي» (آ ٨). وعلى مستوى العدالة، وعد زكّا بأن يردّ لمن ظلمه «أربعة أضعاف».

(١٤) يو ٣: ١٥: وهب وحيده (ل ي ح ي د ه) للعالم.

(١٥) ولماذا أرسل وحيده؟ لكي لا يهلك (ا ب د: باد) كلّ من يؤمن به.

الميمر الحادي عشر

ضيافة إبراهيم وأيّوب[١]

استقبال باسم البارّ[٢]

تعالوا نسمع ما قال ربّنا
في إنجيله الإلهيّ.
من يقبل صدّيقًا
باسم صدّيق، أنا أقول:
أجرَ صدّيق يأخذ[٣]،
في يوم الانبعاث العظيم.

عظيمٌ حبُّ الأوّلين،
الذين استقبلوا ببساطة.
ما تعقّب إبراهيم
الملائكة والبشر.
فاستقبلهما سويّة

...

(١) الله يبارك من يستضيف أولاده، كما بارك إبراهيم وأيّوب. هو نصّ يرد في ٩٠ بيتًا من الشد

(٢) البارّ هو الله. رج أع ٣: ١٤.

(٣) مت ١٠: ٤١: و م ن (ومَن) د م ق ب ل (يقبل) ز د ي ق ا (صدّيقًا) ب ش م (باسم) ز ق ا (صدّيق)، ا ج ر ا (أجر) د ز د ي ق ا (صدّيق) ن س ب (يأخذ).

وأيّوب البارّ
ما أتى هذا على باله،
ولكنّه استقبل بالفرح
كلَّ إنسان يأتي إليه.

لأجر الأكيد

كان الفلاّحون مجدّين
لأنّهم طمروا زرعَهم وهم يأملون.
وحين يتجلّى ملكوته،
يأتي الزرعُ واحدًا بمئة[٤].

هناك يحصدون الأفراح،
التي لا تعبر ولا تنحلّ،
فمن قرّب القرابين،
بالإيمان يقترب،
ومن دعا أبناء البيعة،
لا يشكّ في وجدانه.

مع الأبرار ومع الصدّيقين
هناك ينال الجزاء،
ويكون رفيقًا للقدّيسين،
وجليسًا في وليمة العرس.

(٤) لو ٨: ٨: "و ع ب د (وصنع) ف ا ر ي (ثمارًا) ح د (واحدًا) ب م ا ا (بمئة).

الصغير والكبير

فإن كانوا صغاراً[٥]،
وإن كانت لهم صغائر،
يأخذوا أجرَ الصدّيقين،
في يوم الانبعاث العظيم.

يوقَّر الكهنة في درجاتهم،
والشمامسة في صفوفهم،
ولكلّ أولاد البيعة،
يوزَّع الوقار في كلّ آن.
إنّهم خدّام الله،
وقارئون في سفر الحياة.

الربّ يستقبلك إلى مائدته

الربّ نفسه وقّرهم،
حين (استقبلتهم) لأجله في منزلك.
وقمتَ كالعبد قدّامهم،
وخدمتهم في مأدبتك.

في يوم مجيئه يُتكئك
المسيحُ كما وعد.

(٥) ندعو الجميع سواء كانوا صغاراً أو كباراً. ز ع و ر ي (صغار). ب و ص ر ي (صغائر). لفظ في معنى واحد.

وبدل الخبز العابر،
يُطعمك خبز الحياة.
وبدل الشراب الذي لا يبقى،
يجعلك تنعم مع الروحيّين.

يا من يستقبل التلاميذ

يا من يستقبل التلاميذ،
لا تكن مقسّمًا في وجدانك.
إنْ بالحقيقة استقبلتَ
يُفاض عليك الواحد بمئة.

كما فاضت مقتنيات
أيّوب البارّ وإبراهيم،
الله بارك بيت
إبراهيم البارّ والصدّيق
حين استقبله استقبالاً
تحت البلّوطة في البريّة.

هو يفيض معكم ويُكثر
بركاته إلى الأبد.
ولأنّكم استقبلتم الساجدين له
في مظالّكم وأنتم ترجّونه،

في مظالّ النور تفرحون[٦]،
حين يتباهى مجيئُه.

استقبلتم إكرامًا للمسيح

المسيح الذي لأجله،
أدخلتمونا إلى منازلكم،
هو يُدخلكم إلى جنانه،
لتتنعّموا على مائدته.

نعمتُه تسند الشيوخ،
وتربّي الفتيان وتحفظهم.
تعطي القوّة للمرضى،
فيقومون، يا ربّ، بقوّتك[٧]
للقارئين تعطي فهمًا،
لئلاّ يضلّون في قراءاتهم.

فعل إيمان وصلاة

نحن كلّنا نتلو السُبحَ،
للآب الذي أرسل وحيده.
أتى وخلّصنا بصليبه،
من ضلال الأصنام.

---

(٦) ت ح د و ن. في الأصل: ن ح د ا: نفرح.

(٧) هذا ما حصل لحماة بطرس. «لمس يدها، فتركتها الحمّى، وقامت تخدمهم» (مت ٨: ١٥)

وعلّمنا أن نجيب ونقول:
الإله الواحد الحقّ
الذي يُعرَف ويُشكر،
ويُسجَد له في ثلاثة أقانيم.

هب الفائدة للقائلين،
وللسامعين المعونة.
للمأدبة كلّها عذوبة،
وفرح لسيّد المأدبة.
للبيعة وأبنائها الرفعة،
إلى جيل الأجيال. آمين وآمين.

القسم الثالث

ميامر في الإفخارستيا

مع هذا القسم ننتقل إلى مائدة ثانية، هي مائدة الإفخارستيّا أو عشاء الربّ. هي خمس قصائد وصلت إلينا في الأرمنيّة. أمّا عناوينها فهي:

١- نشيد ٤٧، مبارك من وهبنا جسده

٢- نشيد ٤٨، مبارك من أبهج الشعوب

٣- نشيد ٤٩، مبارك من كفّر عن المؤمنين

٤- نشيد ٥٠، مبارك من أتمّ الرموز

٥- نشيد ٥١، مبارك من ختمنا بدمه.

نشيد ٤٧

مبارك من وهبنا جسده

الردّة مبارك هو البكر
وهبنا جسده فكفّر عن خطايانا

١ قال ربُّنا في إنجيله:
من لا يأكل جسد ابن الإنسان،
من لا يشرب دمه،
لا تكون له الحياة الموعودة.

٢ نَثبت يا إخوتي ثباتًا،
فنؤهَّل لاقتبال دواء الحياة.
فمن تقبّله وهو غير أهل
كان كأنّه ما أخذ شيئًا.

٣ ذاك الذي ما تناول
ما اقترب لأنّه لا يؤمن.
ومن تناول وهو نجس
أراد أن يُهينه إهانة.

٤ نتقبّل الجسد فلا نشابه
شعبًا ما آمنَ به.
نقترب منه بالقداسة
فلا نشابه الساخرين.

٥ من تقبّله وهو غير أهل،
تقبَّل دينونة لنفسه.
ربح الموت بالحياة،
يا للدهشة والانقلاب:
٦ إن خطئ إلى إنسان،
ينال الغفران من الله،
ولكن من يمنح الغفران
ذاك الذي خطئ إلى الله؟
٧ لا يقدر الملائكة أن يلامسوا
القدرة العظيمة التي في أيدينا،
وما أعطيَ للكروبين
ما تتقبّله شفاهُنا.
٨ الكائنات الناريّة حُرمت منه،
وها هو يُعطى للخلائق
لا يُعطى لأصحاب العافية،
وبه يضمَّد أهل الجراح.
٩ اشتهى الساهرون العجل المسمَّن[1]
دون أن يتنجّسوا،
رغبَ به العلويّون،
فما أثمنه للترابيّين!

(١) إشارة إلى مثل الابن الضالّ الذي ذبح له أبوه العجل المسمّن لأنّه عاد إليه. رج لو ١٥: ٣

١٠ طلبوه كطعام شهيّ
فلا حاجة بهم إلى التفكير
حرم الساهرين المؤهَّلين
وأعطاه لأناس لا يستأهلون.

١١ دواء الحياة انحدر من العلاء،
ليقيم في الذين هم أهل له.
ننقّي أجسادنا وأفكارنا
إكرامًا لمجده وإجلالاً.

١٢ الله هو في أيدينا،
إذن، لا نجاسة في أجسادنا.
في الحقيقة يدخل ويقيم فينا،
ننقّي أفكارنا، ننقّي داخلنا.

١٣ من طرف ثوبه[٢]
خرجت عافية كبيرة
فكم يخرج من جسده
التكفير عن الدنسين!

١٤ واحد هما في هذا الوقت
الكاهن والمتناول
حين يكسره الكاهن فهو أكبر منّا،
وهو مثلنا حين يتناوله.

(٢) هذا ما فعلت نازفة الدم (مر ٥: ٢٧-٢٩).

١٥ يسهرُ المحتفل
أن لا يكون أدنى من المتناول
ويسعى المتناول أيضًا
ليكون أفضل من المحتفل.

١٦ بسبب أمر تلقّاه الكهنة
يقدرون أن يكسروا الجسد،
ولكنّنا نصل إلى الجسد،
بالسلوك، لا بالأوامر.

١٧ فمُنا أصغر من أن يرفع الشكران
ولساننا من أن يبارك،
فالذي لا تسعه السماوات
صار صغيرًا صغر أيدينا.

١٨ دوّى زلزال كبير
في سيناء، حيث نزل[٣]
فالقدرة التي غلبت الموت
ها نحن نأخذها في أصابعنا.

١٩ الأرض والسماء والبحار
يحصرها في قبضة يده.
والمتسامي على الخلائق كلّها
يحمله فمٌ ضعيف.

(٣) رج خر ١٩: ١٨: ارتجف الجبل

٢٠ يا لمعجزة الحب!
الربّ يقيم معنا، على الدوام.
ترك السماوات ونزل،
ليكن لائقًا به خدرُ بيتنا.

٢١ إن اقتربنا بإيمان
حين يغفر لنا
فهو ينقّينا تنقية
والعونَ الكبير يُعطينا.

٢٢ شكرًا إخوتي لأنّنا أهّلنا
للجسد الحيّ، جسد مخلّصنا
احتقره الشعب في الجهر
وفي السرّ كرّمته الشعوب[٤].

(٤) مقابلة بين الشعب اليهوديّ والشعوب الآتية من الوثنيّة.

نشيد ٤٨

مبارك من أبهج الشعوب

الردّة مبارك من أسلم جسده للموت،
لتبتهج الشعوبُ به.

١ بالقداسة نأكل الجسد
الذي صلبه الشعب
ونشرب دواء الحياة،
الدم الذي فاض من جنبه.

٢ الجسد الذي كُسر في العلّيّة
ها هو يوزّع الآن بيننا،
والكأس التي قدّم للرسل
ها شفاهنا تتقبّلها.

٣ كما الكاهن يعطينا
يكسر ويوزّع،
كما اقترب التلاميذ بقلب نقيّ
ليقترب كلُّ إنسان.

٤ في البرّيّة نصب موسى
المسكن من أجل اللاهوت،
هو ما أقام في قلوبهم
فجعل مقامَه في قدس الأقداس.

٥ شيّدت الكنيسة للشعوب
لتكون جماعة الصلاة
وفي نفوسنا تعليم القدرة
التي تقود مركبة الكون.
٦ بمعموديّة الروح القدس،
لنا حصّة في التكفير من الخطايا،
والقدرة المقيمة في الخبز
تأتي وترتاح فينا.
٧ الروح دومًا مستعدّ
للكاهن القدّيس الذي يدعوه.
عن اليمين بخفّة يطير،
وينزل دون أن يبدّل موضعه.
٨ ها هو لدى الاب وفي الخبز،
عن اليمين وفي الكأس
فوقُ، تحت، كما في قلوبنا.
فمن يستطيع فهمه؟
٩ لا يأتي ليقيم فينا
في الضعف والنقصان.
يقيم كلُّه في كلّ واحد منّا
ولكنّه لا ينحصر فينا جميعًا.
١٠ بما أنّه يتصاغر
بحسب قامة من يتقبّله،

يكون الخوف في أرواحنا
حيث يقيم ابن القدّوس.
١١ هو في العلّيّة أعطى،
وقسم ذاته بين الجميع.
مع أنّ الشعب قتله،
هو نفسه ذبح نفسه بيديه.
١٢ على الجلجلة صلب الجهّال
من ذبح نفسه بيديه،
فلو لم يذبح نفسه في السرّ (القربانيّ)
لما كانوا لهم أن يقتلوه في الحقيقة.
١٣ ليلة الآلام ذبح نفسه في الرمز،
وهم في الغد قتلوه.
سلّم جسده للشعب،
وهم أهانوه كما شاؤوا.
١٤ ها هو يعطي الشعوبَ جسده
ليكرموه ويحبّوه.
به مات الشعبُ الذي قتله
والشعوب الذين تقبّلوه به يحيون.
١٥ بقتله دمّر اليهوديّة،
وبنى الكنيسة بدمه.
هاجمه الشعبُ الأوّل
فتشتّت في الأربعة أقطار.

١٦ والشعوب المشتّتة فيه ابتهجوا
واجتمعوا في شعب واحد
مبارك من جعل الكنيسة أهلاً
لأن تتنقّى بجسده ودمه!

نشيد ٤٩

مبارك من كفّر عن المؤمنين

الردّة مبارك من أعطى جسده
كفّارة عن المؤمنين جميعًا.

١ إقتربوا أيّها الإخوة نادمين
من هذا الجسد الذي يهبه الكاهن.
وحين نقبل دواء الحياة
ترتجف شفاهنا ارتجافًا.

٢ ساعة يُكسَر هذا الجسد المقدّس
نذكر ذبيحته تذكارًا.
لترتجف كلُّ الأعضاء
ساعة ذبيحة البكر.

٣ نقدر أن نشاهد موته،
وإن وزّع سرّه (القربانيّ).
فساعة ذبحه
أعظم من جميع الساعات.

٤ بعيون النفس، نظرره
شاهدوه معلّقًا على الصليب(٥)

(٥) رج يو ١٩: ٣٧: ق زك ١٢: ١٠: ينظرون الذي طعنوه.

لتشاهد عيونُنا
الدم الذي يسيل من جنبه[٦]
٥ باحترام وحبّ وتمييز
نقترب من دواء الحياة
فيهاب قلبُنا صوته
وترغب نفوسنا في سرّه.
٦ المنّ الذي افتخر به الشعب اليهوديّ
أكل منه اللامختون أيضًا.
فلنعظّم بالأحرى خبز الحياة
الذي يتعرّف إليه الساهرون[٧]
٧ ابتهج شمشون أيضًا
حين شرب ماء من فكّ حمار[٨]،
فكم يبتهج من صار أهلاً
لدم المسيح الثمين!
٨ من الصخر جرى الماء للشعب
فشرب وتقوّى
وعلى الجلجلة، من أجل الشعوب
فاض من خشبة (الصليب) نبعُ الحياة.
٩ الطريقُ إلى شجرة الحياة

---

(٦) يو ١٩: ٣٤: جرى دم وماء.

(٧) هم الملائكة (ع ي را).

(٨) قض ١٥: ١٩. كاد يموت عطشًا

أغلقه السيف المسنون[٩]
وربّ الشجر نفسه
أعطى ذاته لجميع الشعوب طعامًا.
١٠ لآدم الأوّل، أشجار الفردوس
أعطيَتْ طعامًا
ومن أجلنا غارسُها ذاته
جعل نفسه خبزًا لنفوسنا.
١١ نحن خرجنا من البستان
في آدم، من الفردوس طُردنا.
والآن انتُزعت الحربة
وبالحربة نتسلّح وندخل.
١٢ عبر الشعب النهر وخُتن[١٠]
وافتخر لأنّه أكل الفطير
.....
.....
١٣ أكل الشعبُ الحمل في مصر
فتقدّسوا برمزه،
والحملُ الحقيقيّ
كم يقدّس الشعوب!
١٤ خاف المهلك خاف[١١]

---

(٩) تك ٣: ٢٤

(١٠) يش ٥: ٢، ١١: ختنوا لأنّهم لم يختنوا في البرّية، وأكلوا الفصح

(١١) خر ١٢: ٢٣.

لرؤية الدم على أبواب الشعب.
فكم يخزى المجدّفون
لرؤية علامة الابن المحبوب!
١٥ مهابة تكون هذه الساعة
في أرواحكم أكثر من الساعات
نزل الابن، رفرف
على مذبح المصالحة.
١٦ في الجحيم، عظامُ الموتى المذكورين
يشربون من ندى الحياة،
ها هم يُذكَرون أمام الله
ساعة الاحتفال بالذبيحة.
١٧ هو يساعد الأموات
وبالأحرى الأحياء ينقّيهم.
مبارك من ذبحه شعبٌ واحد
لخلاص جميع الشعوب!

نشيد ٥٠

مبارك من أتمّ الرموز

الردّة مبارك من جاء إلينا
فأتمّ رموزه!

١ نتقدّس يا أحبّائي،
ومن خبز الحياة نقترب.
ما هو فطير الشعب
ولا حمل مصر هو.

٢ لا من السلوى نقترب
ولا من المنّ في البرّيّة[1]
ولا من خبز التقدمات.
فخبزُنا يتسامى عليها كلّها.

٣ رموزٌ إلى الأمور الآتية
علاماتُ هذه الصور،
حين يتمّ زمانها
تحلّ محلّها حقيقتنا.

٤ لو أنّ الحقّ (يسوع) ما جاء
لبقيت الذنوب بقاء.

(١) إشارة إلى طيور المنّ وخبز السلوى الذي أعطي للشعب في البرّيّة كما يقولُ الفصلُ السـ
عشر من سفر الخروج.

ألغاها فنعترف
بعمل من هو الحقّ
٥ نحن لا نحارب الشعب
بل نحثّ جميع الشعوب
ليطهّروا قلوبهم لاقتبال الروح القدس
الذي يشاركون فيه مع الأنبياء.
٦ قيل بالنبيّ: «على عبيدي
وعلى إمائي أفيضُ من روحي»[١٣]
من أجلنا تحقّق اليوم
الوعد الذي كان في الماضي.
٧ ها الله يجعل مسكنه
في قلب العبيد والأحرار وأولادهم،
فمن كان أهلاً للجسد (الإلهي)
هو أهل للابن حين يتقبّل جسده.
٨ هنا لا محاباة ولا تمييز
لبيتٍ من البيوت ولا لعبد
فالإنسان بقداسته
يتفوّق على رفاقه.
٩ قيل لحزقيال:
«ضع ختمًا على الجباه»[١٤]

---

(١٣) نبوءة يوئيل ٣: ١.

(١٤) حزقيال ٩: ٤. هو حرف التاو السريانيّ الذي يبدو بشكل صليب.

هو رمزٌ طبعَه الملاك في العلّيّة
حيث تمّت هذه الأقوال.

١٠ لا أمنع الخاطئين
من الاقتراب إلى الأقداس
فأيّ إنسان، مهما جاهد،
يجرؤ على القول إنّه أهل.

١١ فالذين ينالونه
ليسوا أهلاً، ولا الذي يقرّبه.
فإن هو تطلَّب تطلّبًا
فلأنّه يتجاوز كلّ قدرة.

١٢ إن كان ناقص الكمال
شجّعه لكي يقترب،
ولكي يشفيه من نقصه
ويجعله بلا عيب.

١٣ ومن ترك الخطيئة تسير مسيرتها،
يجب أن يعرف نفسه.
ليخفْ، إن لم يتنقَّ،
أن يستهين بالجسد (المقدّس).

١٤ خطيئة هذا الإنسان خطيئتان:
ما عرف نفسه
وما عرف نجاسته،
فحلّ جسدَ ربّنا وعظمته.

١٥ كتب الرسول عن هذا الرجل:
ينال لنفسه دينونة[١٥]
لأنّه يتناوله وهو في نجاسته
فلا يعرف أن يقترب نادمًا.
١٦ بأيّ روح،
إن لم يكن روح الاستخفاف،
يقترب الخاطئ
الذي لا يتوقّف عن الخطيئة؟
١٧ طوبى لمن هو أهل
لمعموديّة التكفير،
ويقترب من الجسد والدم
وهو بلا عيب في روحه.
١٨ وبعده، طوبى للإنسان
الذي يقترب بالمخافة
ويؤمن، كما هو مكتوب،
أن تكون له كفّارة[١٦].
١٩ اسمعوا، يا إخوتي، ما يقول لنا الابن:
«من يأكل جسدي ويشرب دمي،
هو فيّ، وأنا فيه،
وأقيمه في اليوم الأخير».

---

(١٥) ١ كور ١١: ٢٧.

(١٦) ١ يو ٢: ٢. والأبيات التالية هي توسّع في خطبة خبز الحياة وردّة فعل التلاميذ الذين بدأوا يتركون يسوع لولا جواب بطرس: «إلى من نذهب، يا ربّ، وكلام الحياة الأبديّة عندك».

٢٠ وكما قال لنا بعدُ:
هو معنا في مثوى الأموات.
فكم يكون معنا إذًا
في هذا العالم وفي الملكوت!
٢١ سمع التلاميذُ هذا الكلام
فما احتملوه، بل ارتابوا.
كيف يمكن أن يتمّ
ما ليس بالإمكان أن يتمّ؟
٢٢ فكّروا: «كيف يعطي ذاته لنا،
وهو حيّ بعد موته؟
من يأكل جسد إنسانٍ
حيًّا كان أو ميتًا؟
٢٣ أن نُهان لأجله،
هذا أمر ممكن
وأن نأكل جسده حيًّا أو ميتًا،
فهذا غير ممكن».
٢٤ ما سمعوا هذه الأقوال
ببساطة القلب والروح.
بدا الكلام لهم صعبًا،
فمالوا عنه ومضوا.
٢٥ ما أراد المخلّص قبل الزمان
أن يكشف سرّ جسده.

قال: «من يأكل»
وما كشف كيف نأكل.
٢٦ كان حبّ الرسل عظيمًا.
وفي عظمة هذا الحبّ
استعدّوا أن يأكلوا جسده،
وهو بعد حيّ، ثمّ ميت.
٢٧ قبل أن يكسر الخبز
أكلوه بشكل خفيّ.
وحين وزّع الخبز،
تقدّموا بفرح، جهارًا.
٢٨ من يأكل الخبز الحيّ
يأكل جسد الابن.
ومن يشرب دواء الحياة
تذوق الدمّ شفتاه.
٢٩ نتقدّس بعد أن أعطي لنا
أن نأكل جسد العليّ.
وكما يرتاح عن اليمين
يرتاح فكرنا هناك.
٣٠ أحبّ البشرَ بلا حدود
واعتنى بهم بكلّ الأشكال.
بجسده نقّى نجاستنا
وبدمه وهب ذاته لنا.

٣١ من لا يأكل جسده ولا يشرب دمه،
لا تكون له الحياة، كما قال.
الويل لمن لا يتناوله
لأنّه ما أراد أن يؤمن به.

٣٢ الخاطئ الذي يقرّبه من عينيه
بحبّ وإيمان ثابت، ليتنقّى،
يفضّل على البار
الذي رفض أن يتناوله بنقص غيرته.

٣٣ كاذبٌ من اقترب
باستخفاف من جسد ربّنا.
كاذبٌ هو كاذب
في داخله، زائف كلّه.

٣٤ ما من إنسان يشوِّه قداسته
ويكون في حالة القداسة.
فمن قبل الجسد باستخفاف
جعل نفسه في الحال مكروهًا.

٣٥ إمنح، يا ربّ الضالين
أن يقتربوا من الجسد بإيمان
واجعل من أدركوا نجاستهم،
أهلاً لأنّ يقتربوا وهم مرتعدون.

نشيد ٥١

مبارك من ختمنا بدمه

الردّة مبارك من ختم بدمه
العروس التي اقتناها.

١ رشّ الوثنيّون على العجول
دم الحيوانات،
والابن المسيح أراق دمه
ليسقي البشر جميعًا.

٢ ذبحوا اللحوم للأوثان
فجلبوا عليهم غضب الله،
والابن صار لنا ذبيحة
ليصالح أباه معنا.

٣ قدّموا طعامًا للآلهة
فصار الله لنا طعامًا،
وذبحوا البقر للأصنام
فصار الابن لنا ذبيحة.

٤ بالذبيحة الواحدة، الكاملة،
ما ترك الحملان يُذبحون
والعجول يُطبخون
والطيور يقطّعون قطعًا.

٥ الربّ جبلنا في الحشا
وخارج الحشا أقاتنا.
بطعام منظور وخفيّ
اعتنى بالأجساد والنفوس.
٦ يُقيتُ الجسد بالخبز
وبالخبز الحيّ يحيي النفس.
بالخمر يُطفئ عطشنا
ويسقي نفوسنا كأس الخلاص.
٧ أقام الوثنيّون الأصنام،
فوجب عليهم أن يُقيتوهم.
وبما أنّ لا فم لهم به يأكلون،
عملت النارُ عمل الفم.
٨ أكلت النار الذبائح
التي حُرم منها آلهتهم،
والخمير المخصّص لهم
شربتْ منه الأرض العطشى.
٩ أعطيَ لموسى أن يرى الله،
فتمجَّد منذ الآن تمجيدًا
فكم تتمجّد الأرواح
التي فيها ابنُ القدّوس يُقيم!
١٠ الحيّة الميتة تشفي
عضّات هذه الحيّات.

فكم يشفي الجسدْ الحيّ
جراحَ رفاقه!
١١ حيوان غير عاقل
منح عطيّة الشفاء المباركة،
وربُّ كلّ علم
كم يعطي حياته عطاء مجّانيًا.
١٢ صورة الحيّة الملعونة
أعطت الحياة للأجساد
وجسد (الله) المبارك ودمه
يعطيان النفوس الحياة.

القسم الرابع

من أناشيد البتوليّة والإيمان

اخترنا قصيدتين من أناشيد أفرام في البتوليّة، واثنتين أخريين من أناشيده في الإيمان. وعناوينها هي:

١– في البتوليّة، ١١، الطبيعة وآلام المسيح

٢– في البتوليّة، ٣٧، الإفخارستيّا والميرون

٣– في الإيمان، ١٠، روح المسيح في منديل الناسوت

٤– في الإيمان، ١٨، رموز الإيمان من الثالوث إلى الصليب.

الطبيعة وآلام المسيح

١ يصعب جدًّا على الشرّير أن ينظر قباحته،
فالخير كالمرآة يأتي إليه.
يوبّخه على قباحته التي ظنّها حسنة.

الردّة التسابيح لنعمتك.

٢ النعمة تفاجئ ناكر الجميل،
فيتعلّم بعد مرّة ومرّتين، ويدرك ويتبيّن
مرارته في نفسه، ساعة ربُّه عذبٌ.

٣ لهذا ما أتى (= المسيح) في جيل الصدّيقين.
هذا لا يعني أنّهم ليسوا أهلاً، بل حلاوتُه
توبّخ القلوب المرّة التي أنكرت مجيئه.

٤ البحر انشقّ للغاطس فنزل فيه.
وسّع له حضنه، بيّن له كنزه
وهب فأغناه، حمل فأصعده.

٥ الصخرة التي قُطعت صارت بآلامه،
سورًا للبشر في الحرب والقتال،
وقفت أمامهم وحفظت كنوزهم.

٦ الخشبة في صغرها تشبه الصليب،
حُملت في البحر، زُيّحت في اليابسة.

فوائدُها كثيرة، معوناتها غنيّة.

٧ الحديد القويّ يُكرَه في النار،
يُعذَّب ويضايَق ويرعبه البشر
ومتى ضُرب أعطى الأجر عن ضربه.

٨ والذهب ابن الأحرار، يُضرَب ولا خطأ في ذلك
جنبيه لكلّ الضربات وهبَ، في سرّ ربّنا
صغرُه للإكرام، آلامه للتسبيح.

٩ الحديد والإبرة يثقبان المرجان
كما ثقب بالمسامير على الصليب
وصار بآلامه فخرًا للإنسان.

١٠ من يقدر أن يخبر ما تعانيه الحنطة.
بقدر ما تُضرَب وتعذّب تأتي
فتهب في ضيقها الحياة لمن يضايقها.

١١ العنقود تعذّبه رِجلا من يدوسه
بدمه تطهر وصمتُه، مرارته يتحلّى،
وإن هو عتق يصبح خمره عذبًا.

١٢ حين تؤكل الثمرة طعمُها بالآلام
تصبّ داخل الفم سرّ هذه الثمرة
حين يُؤكل جسدُه يُحيي آكليه.

١٣ كم يعذِّب الدبس محلّي الجميع!
حين يُخضِع ربّك، قوّته لآكليه،
يعطي الأصحّاء عذوبة، والمرضى قوتًا.

١٤ الأطياب (كالشهداء) الظافرين يُرمَون في النار
فتعطّر برائحتهم مثلُ ربّهم الصالح
الذي أفاح بموته رائحة حياته.

١٥ هكذا هو الطير. حين يضرب الهواء،
بجناحيه كما بذراعيه، متنه يُخضعه،
ومثل عروس في العلاء يزيّحها بقدرته.

١٦ والفلاّح أيضًا. بواسطة الحديد الأرضَ
يقسمُ ويشقّ فلا تغضب في ألمها.
كنوزها ورحمها تفتح في آلامها.

١٧ الخروف في صَغاره، لباسَه وكساءه
«يشلح» ويهبه كلّه لمن يجزّه،
مثل الحمل الذي قسم ثيابه بين صالبيه.

١٨ سرُّ الحمل عظيم هو: وديع في حياته،
يُخضَع في مماته، اقتسامه للأفراح
وأوتار كنّارته للهتاف والأناشيد.

١٩ قديمٌ تعليمُه ولا يُدرَك زمانه،
يُقيم في الفتوّة ويُحتقَر معها.
صَغُر ليعظّمها ويوقّرها كثيرًا.

٢٠ ها كلّ هذه تعلّم بأسرار فيها
تفتح بآلامها كنز غناها
وآلام ابن الصالح مفتاح كنوزه(*).

(*) أناشيد الطفولة، النشيد الحادي عشر.

الإفخارستيّا والميرون

١ الحيّة ضربت حوّاء فعتقت وتمرّدت على الجميع،
على الملوك والكهنة، على الأنبياء والمخلّصين.
جذر يسّى (أش ١١: ١٠) أضعف التنّين،
بجذر من مريم قُهر العدوّ.
الصلاة وشوشت فحُجر عليه
وختمت عليه. نفخ في آدم فأيبسه
وداس عظامه في الشيول (بين الأموات).

٢ جسده الجديد امتزج في أجسادنا،
وفي شرايينا صُبَّ دمُه النقيّ.
صوته في الآذان إشراقة في العيون
كلُّه في كلِّنا امتزج بحنانه.
وبما أنّه رحم الكنيسة رحمة واسعة،
ما وهب لها مَنَّ ضرّتها (الشعب اليهوديّ)
فصار لها خبز الحياة لكي تأكله.

٣ لفائدتنا خُلقت الحنطة والزيت والعنب.
خَدمتك الثلاثة في السرّ خدمة مثلّثة.
بدواء الثلاثة شفيتَ مرضنا
ضعُفَ الإنسانُ، تألّم، هوى وانتهى.

قوّيته بخبزك المبارك
وبخمرك المعفّف عزّيته
وأبهجته بمسحتك المقدّسة.

٤ الخراف والنعاج خُلقت لفائدتنا
من صوف الخراف المفروش معطف لنا
بدل... أسراره الأربعة
ها معين... من كنفك لباسه
... عون... .
ولواحدٍ واحدٍ حضنُ معرفته
يهب ينبوعك من دون حسد.

٥ الجسدُ يشكرك لأنّه خُلّص باتّضاعك،
الخروف الذي ضلّ، كمنَ له الأسدُ وسحقه
الخطيئة تختفي والوحش يوسوس
حفظ داود نفسه حين خلّص الحمل.
بدل جسدنا وهب جسده
لذاك الموت الذي أكلنا وما شبع.
بك وحدك شبع وانشقّ.
النفس تشكرك. تنقّت من وصمتها
بعد أن قبلت بحريّتها أوساخ الذنوب.
إرادتها حاكت لها اللباس الوسخ.
راحمُنا نسج لها لباس النور وألبسها.
الكهنة ينقّون في الصباح (بالدم)

وأنت تنقّي النفس في جهالتها.
سبحَتْ في دمك، أبيضّت ونالت الفرج.

٧ ربُّنا حارب الكتبة بأسئلتهم،
في درس رفيع لبس كتبهم،
بشريان الحقّ تقوّى في المزامير
طلب، سألهم وسُئل فظفر.
فالشريعة درعه،
وأشعيا سيفه ورمحه
والأنبياء سهام قوسه.

٨ أسماؤه في الشراب وبّخت الغريب:
يسوع هو المسيح، ربّنا وإلهنا
من كنزه المليء سلب الخالق وأغنانا
مدّ عدالته مثل قوس في الهيكل
رمى الويلات الهائلة على الكتب
رمى السهام على الشرّير وأسكته
وآخر في لجيون عذّبه (مر ٥: ٩).

٩ الجسدُ الذي من مريم وبّخ من قال:
إنّ السماويّ سكن في جسم آخر؟
كاملٌ هو الجسم فكيف ربيَ في خبزنا
العرق والبصاق والدموع أيضًا والدم
وإن كان الجسم العلويّ نقيًّا،
شابه جسدنا ومات أيضًا.

كفروا، واعترفوا أنّ كيانهم واحد.

١ حقيقتك في فتوّتي، حقّك في شيخوختي.
اغتبطتُ ورميت حانبَ الصالبين
وأهملت صور الغرباء ومعدنهم
والمزيّف الجديد الذي يتصنّع ليسلبنا.
(بالضلال) القديم والجديد كفرتُ يا ربّي،
وآمنت بالعهد القديم والعهد الجديد
بهما يتوسّع كيلُ ميامري(*).

(*) أناشيد البتوليّة، النشيد ٣٧.

روح المسيح في منديل الناسوت

١ أنتَ كتبتَ يا ربّ: إفتَحْ فمك فأملأه (مز ٨١: ١١)
ها فم عبدِك فُتح لك مع وجدانه.
أنت املأه يا ربّ من موهبتك،
وبحسب مشيئتك، أرتّل التسبيح لك.

الردّة أهّلني في المخافة
لأقترب من موهبتك.

٢ للخبر عنك، درجاتٌ من كلّ القياسات للبشر،
أتجرّأ فأقترب من الدرجة السفلى.
في داخل الصمت خُتم مولدك،
وأيّ فم يتجرّأ أن يبحث فيه؟

٣ كيانك واحد وشروحه عديدة
أخبارك رفيعة، متوسّطة، وضيعة.
من جهة الوضاعة، مثل مائدة،
أهّلني لألتقط فتات حكمتك.

٤ خبرُك العليّ، خفيّ لدى والدك،
اندهش الملائكة في غناك المتوسّط
جدول صغير يا ربّ، من تعليمك لدى السفليّين
هو سيل شروحات.

٥ إن كان يوحنّا الكبير هتف:
لستُ أهلاً يا ربّ لرباط نعليك (يو ١: ٢٧)
مثل الخاطئة في ظلال (لو ٧: ٣٧ي)
ثوبك، ألجأ إليه وأقيم.
٦ ومثل تلك التي ارتهبت فأمسكت وشُفيت (مر ٥: ٢٥ي)،
إشفِ رهبتي من القنوط فأتعزّى بك.
وهكذا يقودني ثوبُك
نحو جسدك فأخبر عنه بحسب قواي.
٧ ثوبك يا ربّ، هو ينبوع العلاجات.
في لباسك الجليّ تحلّ قوتّك الخفيّة
تفالّ قليل من فمك أيضًا (يو ٩: ٦)
هو نور في الطين. يا للدهشة العظيمة!
٨ في خبزك اختفى الروح الذي لا يُؤكل،
وحلّت في خمرك النار التي لا تُشرَب،
الروح في خبزك، يا للدهشة الفريدة!
٩ نزل الربّ على الأرض لدى المائتين،
فخلقهم خلقًا جديدًا كما الملائكة (٢ كور ٥: ١٧؛ غل ٦: ١٥)
مزج فيهم النار والروح،
ليكونوا نارًا خفيّة وروحًا.
١٠ ها اقترب السرافيم بأصابعه من الجمرة،
قرّبها فقط تقرّبًا من فم أشعيا (أش ٦: ٧)
لا هو أمسكها ولا هو أكلها،

ولكن لنا وهب الاثنين ربُّنا.

١١ للملائكة الروحيّين مأكل الأجساد (الجسديّين)
قرّب إبراهيم فأكلوا، يا للدهشة الجديدة! (تك ١٨: ٨-٩)
فربّنا العظيم (أعطى) الأجسادَ
النار والروح مأكلاً ومشربًا.

١٢ نارُ الغضب على الخطأة نزلت وأكلتهم. (٢ مل ١: ١٠)
ونار الحنان في الخبز نزلت وأقامت.
بدل هذه النار التي أكلت البشر،
النارَ في الخبز أكلتُم فوجدتم الحياة.

١٣ ذبائحُ إيليّا نزلت عليها النار وأكلتها (١ مل ١٨: ٣٨)
ولنا نار المراحم صارت ذبيحة حياة
النار أكلت القربان
وأكلْنا نارَك، ربّنا، في قربانك.

١٤ من أمسك الريح (الروح) في حفنتيه؟ تعال وانظر (أم ٣٠: ٤)
يا سليمان، ما صنع ربُّ أبيك.
النارَ والروحَ، لا بطبعهما،
مزج وصبّ في حفنات تلاميذه.

١٥ من صرّ المياه في منديل؟ سؤالاً سألوا (أم ٣٠: ٤)
في المنديل نبع هو كنفُ مريم
من كأس الحياة نطفة حياة
تأخذ إماؤك على المنديل (في اليد).

١٦ ها قوّة خفيّة في منديل المقدِس

قوّة ما حبسها يومًا الوجدان
أحناه حبُّه، نزل، رفّ
على منديل مذبح المصالحة.
١٧ ها النار والروح في حضن والدتك.
ها النار والروح في نهر فيه اعتمدت.
النار والروح في معموديّتنا،
وفي الخبز والكأس النار والروح القدس.
١٨ خبزُك قتل الشره الذي صنعنا خبزَه.
كأسُك أباد الموت الذي ابتلعنا.
أكلناك يا ربّ، وشربناك،
لا لننهبك بل لنحيا فيك.
١٩ رباط نعلك يُرعب المميّزين
كنف ردائك يخيف العارفين
جيلنا جاهل حين يتعقّبك،
أضاع عقله وسكر بخمر جديدة.
٢٠ ما أعجب خطواتك تمشي على المياه،
تحت رجليك أخضعتَ البحر العظيم.
ولكن خضعتَ لنهر صغير
فانحنيتَ واعتمدتَ فيه.
٢١ شابه النهرُ يوحنّا الذي عمَّد فيه،
إثناهما في الصغارة، صوّر الواحد الآخر.
لنهر صغير ولعبد ضعيف،

للاثنين خضع ربّهما.

٢٢ تعال، يا ربّ، امتلأ حضني من فتات بركاتك،
فما بعدُ موضع في كنفي.
وإذ أسجد لك أعدّ موهبتك
واحفظها في كنزك وديعة تعود إلينا(*).

(*) أناشيد الإيمان، النشيد العاشر.

رموز الإيمان من الثالوث إلى الصليب

١ ولدُ الطير إن هو لم يكتمل،
لا يقدر في ضعفه أن يكسر القشرة،
والإيمان الخاضعُ للصمت
ضعيف هو، فكمّلْه يا مكمّل الكلّ.

الردّة أهّلني في صمتي أن أكرم مولدك.

٢ جنس الطيور يمرّ في (مراحل) ثلاث:
من الحشا إلى البَيض، ومنه إلى القنّ والصوت.
وحين يكتمل يطير في الهواء،
فيبسط جناحيه في سرّ الصليب.

٣ والإيمان أيضًا يكمل في ثلاث،
إذ آمن الرسل بالآب والابن والروح القدس،
عندئذ طارت الكرازة إلى الأقطار الأربعة،
بقوّة الصليب.

٤ ثلاثًا زُرعت الأسماء الثلاثة
في الروح والنفسِ والجسد، كما في سرّ
حين يكتمل ثالوثنا في الثلاثة
يملك على الأقطار.

٥ إن تألّم الروح رُسم كلُّه في الآب،
والنفس إن تألّمت مُزجت في الابن كلّها.

والجسد إن اعترف (الشهيد) واحترق
يشارك كلّه مع الروح القدس.

٦ وإن أغلق الطائر جناحيه وتنكّر
لبساطة سرّ الصليب، فالهواء أيضًا
يتنكّر له ولا يحمله
إلاّ إذا الجناحان اعترفا بالصليب.

٧ والسفينة تبسط المجذاف في سرّ الصليب
ويصنع بزوجَيْ خشب عبابًا للريح
حين تبسط هذا الصليبَ
تنبسط الطريقُ من أجل مسيرتها.

٨ وإن كانت السفينة لرجل يهوديّ،
فهو يلوم نفسه دون أن يشاء.
في سفينته، هو بيديه
نشر سرَّ الصليب وبسطَه.

٩ بالصليب يخضع البحر للكافرين،
فإن كان الصالب لا يصلب الصليب،
وعليه لا يُوضع القميص على مثال جسد،
تُمنَع عليه مسيرته.

١٠ يا حضنًا نقيًّا، يا سرَّ جسد مخلّصنا
الممتلئ من الروح الذي نجّسه بلا حدود
من الروح الذي يحلّ في القميص
تحيا الأجساد التي أقامت النفسُ فيه.

١١ والأرض أيضًا لا ترتمي أمام الصليب

لولا سرّ جميل، (سرّ) صليب النور.
إشارةُ الصليب تركّبها
وتليّنها وتبذر فيها زرعها.
١٢ بدون هذا السرّ لا يكون القميص محبوبًا،
يمدّ (اليهوديّ) يديه يلبسه كأنّه صليب.
كساؤه له مرآة
وعليه رُسمت إشارةٌ تنكّر لها.
١٣ حين يشترى الصالب حملاً وينحره،
على خشبة يعلّقه، يا ربّ، ليصوّر قتلك.
وحين يطمر الحنطة في الأرض،
يكرز انبعاثُك زرعَ الحياة.
١٤ ها سرُّك في قطيعه الذي يحفظ بعصاك،
وفي كرمه عنقود امتلأ من سرّ دمك،
وفي شجرته تعلّقت ثمرة
سرّ خشبتك وثمرة جسدك.
١٥ في بيت الكافر كاروزُك يهتف
في سرّ جليّ صفّق بأجنحته هناك
حياةَ الموتى كرز
للحيّ المقبور، وموتُه كان رقادًا.
١٦ وإن كانت المقدّسة التي برفّتها النقيّة،
حبلت في حشاها من حرارة رفّ كنفيها
وولدت ولدًا بدون زواج،
هو هو (الطائر) في بيته مرآة مريم(*).

(*) أناشيد الإيمان، النشيد ١٨.

القسم الخامس

قصـــائـــد فـــي المرجـانـــة

في نهاية أناشيد الإيمان لمار أفرام السريانيّ، كما نشرها العام الكبير ادموند باك في مجموعة لونان (١٥٤-١٥٥) نقرأ خمسة قصائد عنوانها المرجانة (م ر ج ن ي ت ا) أو اللؤلؤة الصغيرة. وجاء عنوان كلّ من هذه القصائد كما يلي:

١- المرجانة وملكوت السماء

٢- المرجانة بنت البحر

٣- المرجانة تقود إلى المسيح

٤- المرجانة والإيمان

٥- المرجانة عمود النور.

المرجانة وملكوت السماء

١ في يوم من الأيّام، مرجانةً
أخذتُ، يا إخوتي، رأيت فيها
أسرار بني الملكوت، الصور والأنماط
لهذه العظمة. كانت لي ينبوعًا
فشربتُ منها أسرار الابن.

لردّة مبارك من مثّل ملكوت السماء بالمرجانة.

٢ وضعتُها، يا إخوتي، في راحة يدي
لكي أتأمّل فيها. رحتُ أنظر إليها
من جانب واحد. لها وجوه
من كلّ جانب. تبصّصّ في الابن
الذي لا يُدرك، لأنّه نور كلّه.

٣ في صفائها هذا نظرت إلى الصافي (= الله)
الذي لا يفسد. وفي نقاوتها
سرٌّ عظيم. جسد ربّنا
الذي يطهّرنا. في لاانقسامها
نظرت إلى الحقيقة التي لا تنقسم.

٤ هي مريم الذي رأيتها هناك
وحبلُها النقيّ. هي الكنيسة

والابن في داخلها شبه الغمام
الذي حملته، وسرّ السماء
الذي خرج منها ضياء جميلاً.
٥ نظرتُ فيها علاماته وانتصاراته
وتكاليله. نظرت مساعدته
والفائدة منه وخفاياه
وجلاياه. كانت لي أكبر
من السفينة التي ضعتُ فيها.
٦ نظرتُ فيها مدى لا ظلّ فيه
لأنّها بنت الشمس هي. رموز ناطقة
بلا لسان. غمغمة أسرار
بلا شفاه، وكنّارة صمت
بلا صوت، تهب الأناشيد.
٧ نفخة بوق، همسة رعد
لا تتجرّأ. أُترك الخفايا،
خذ الجلايا. رأيت في الصحوِ
مطرًا آخر. غدير لأذنيّ
كما من السحاب المليء بالتفاسير.
٨ ومثل هذا المنّ الذي هو وحده
مالئ الشعب مكان الأطعمة
بطعمها ومذاقها. وامتلأت لي أيضًا
المرجانة مكان الأسفار

وقراءاتها وشروحها.

٩ وسألت: هل لك بعدُ
أسرار أخرى؟ لا فم لها
لأسمع منها، ولا أذنين
لتسمع منّي. يا من لا حواسّ لها
حواسًا جديدة اقتنيتُ بقربها.

١٠ أجابت وقالت لي: بنتُ البحر
أنا ولا حدود لي. وهذا البحر
الذي صعدتُ منه أعظم من كنز
الأسرار الذي في حضني. بُصَّ في البحر
وفي سيّد البحر. لا تبصّ.

١١ رأيت غائصين ينزلون ورائي
وهم يرتعدون. ومن جوف اليمّ
إلى اليبس يعودون. برهة صغيرة
ما تحمّلوا. من يحدّق
ويبصّ في عمق اللاهوت!

١٢ أمواج الابن المليئة بالمعونات
مع انحسارات. أما رأيت
أمواج البحر؟ إن تحرّت فيه
السفينة حطّمتها وإن جارته
وما عصت، حُفظت.

١٣ في البحر اختنق المصريّون كلّهم
وما تعقّبوا. وبدون تبصّص
في اليبس ابتُلع العبرانيّون أيضًا.
فكيف تحيون (تنجون). وأهل سدوم
في النار لفحوا، فكيف تظفرون؟

١٤ في هذه الأحوال، الأسماك في البحر
تتحرّك نحونا. أقلبُ حجر
هو لكم. تقرأون هذه
وفي هذه تضلّون. فالخوف عظيم
إن صمت الإله العادل.

١٥ امتزج البحث مع الشكران
فأيّهما يغلب؟ عطرُ السبح
وتعقّب (الله) من اللسان.
فإلى من ننصت؟ البحث والصلاة
من الفم الواحد، فأيًّا نسمع؟

١٦ ثلاثة أيّام جارًا في البحر
كان لنا يونان. تحرّكت الوحوش
في جوف البحر. فمن يهرب
من الله؟ هرب يونان
وأنتم تسعون وتتعقّبون![*]

(*) أناشيد الإيمان، ٨١، المرجانة، القصيدة الأولى.

المرجانة بنتُ البحر

١ من تشبهين؟ صمتُك يتكلّم
لمن يسمع لك. بفم صامت
تكلّمي معنا. فمن سمع
همس صمتك. رمزك ينادي
بالعمق على مخلّصنا.

٢ أمّك هي البتول البحر
وما أخذها (زوجة). في حضنه سقطت
وما عرفت. حبلُك لديه
لم تفهمه الغبيّات
ذبحْنَ نمطك (يسوع) وعلّقنك.

٣ أنت يا من أنت وُلدت فقط
من كلّ الحجارة، تشبهين
كلمة العلاء، وحدها
العليّ ولدها. الحجارة المنحوتة
تشبه سرّ العلويّين المصنوعين.

٤ الابن تجلّى في حضن خفيّ،
يا للرمز العظيم! حبلك الطاهر
بلا زرع ولا زواج

ولدُك النقيّ من لا إخوة له
مولود منك لأنّه الوحيد.
٥ لربّنا إخوة. ولكنّه بلا إخوة
لأنّه وحيد هو. يا للفريدة!
سرّ عظيم! ووحيد
هو نمطك. في تاج الملك
لك إخوة وأخوات.
٦ الحجارة الصالحة تكون إخوتك
مع البلّور والمرجانات
مثل رفيقاتك، ويكون الذهب
كابن عشيرتك. لملك الملوك
إكليلٌ يكون من أحبابك.
٧ حين صعدتِ من جوف البحر،
القبر الحيّ، اقتنيت هذا
الجمع الجميل من الإخوة والأقارب
وأبناء العشيرة. الحنطة في الساق
وأنت في التاج مع الكثيرين.
٨ وكما الفساد يعود إليك
بحقّ (أتيت) من هذا العمق
إلى الرفعة الجميلة. حنطة تحمل
الساقُ في الحقل. وأنتِ يزيّحك
رأسُ الملك على المركبة.

٩ يا بنتَ المياه، يا من تركت اليمّ
الذي وُلدتِ فيه. إلى اليبس صعدتِ
حيث أنت محبوبة. يحبّونك، يخطفونك
ويتزيّنون بك مثل هذا الولد (الإلهيّ)
الذي أحبَّ الشعوب فتكلّلت به.

١٠ في السرّ والحقّ داس لاويتانَ
المائتون. تعرّى الغاطسون
ولبسوا الزيت في سرّ المسيح.
سرقوك وصعدوا. الرسلُ، النفسَ
خطفوا من فمه حين تمرمر.

١١ طبيعتُك تشبه الحمل الصامت
في عذوبته. فإن حرّكها إنسان
وأخذ وعلّقها في أذنه،
مثل الجلجلة، ترمي أيضًا
كلّ أشعّتها على الناظرين إليها.

١٢ صُوّر في حُسنك حسنُ الابن
الذي لبس الآلام. المسامير عبرَت فيه،
الإبرة عبرتْ فيكِ، وإيّاك ثقبوا
كما يديه، ولأنّه تألّم معك
كما في ألمك ازداد حسنك.

١٣ لو وفّروك ما كانوا أحبّوك
ولو تألّمتِ ملكتِ. فسمعان كيفا

تألّم على الصخرة. فمن ضربها
نال الضرر منها. بسبب آلامه
زيَّن حسنَه العلوّ والعمق(*).

(*) أناشيد الإيمان، ٨٢، المرجانة، القصيدة الثانية.

دعاه. تعمّد الكوشيّ
فلبس النور وتلألأ ومضى.
٥ تلمذ وعلّم بني السود
فصنعهم بيضًا. والكوشيّاتُ
السوداواتُ مرجانات
كُنّ للابن. أصعد إلى أبيه
التاج الذي يتلألأ من أهل كوش.
٦ ملكة سبأ النعجة التي أتت
إلى أرض الذئب. سراجَ الحقّ
وهبَ لها سليمانُ. ذاك الذي نفخ فيه
صار وثنيًّا. أنيرت ومضت
وكانت الظلمة عليهم كما اعتادوا.
٧ هذا الشعاع الذي نزل مع هذه
المطوَّبة، وسط الظلمات
عزّز ضياءه حتّى أتى
الظهورُ الجديد. إلتقى الشعاع
بذاك الضياء فاستنار المكان.
٨ في البحار البحار أسماك أسماك
دائمًا أبدًا، وبين الكبار
يكثر الصغار. في صغرك
كبرُ التاج. شبه الابن
الذي عظّم آدم في تصاغره.

٩ للرأس تاجكِ، للعين حسنكِ
للأذن زينتك. إصعدي من البحر،
يا جارة البحر، وتعالَي أقيمي
قرب أذني، فالأذن تحكي
كلمة الحياة كما أحببتها.

١٠ في الأذن الكلمة، وخارجًا منها
المرجانة فالذي تخدر منك
فيك يجد حكمة تكون حذرة
بكلمة الحقّ. تلك التي مرآتها
حسنُ الكلمة في حسنك ترينه.

١١ بك تتعلّم (الأذن) وقار
كلمة العلاء. طرف الأذن
شجرة من لحم. وأنتِ في داخلها
ثمرة النور. لعلّ الحشا
الذي وَلد النورَ يشاهد سرَّك.

١٢ بك مثّل (الربّ) الملكوت،
أيّتها المرجانة. والبتولات
اللواتي دخلن خمسًا لبسن نور
قناديلهن. إيّاك تشبه
النيّرات، يا لابسة النور.

١٣ من يعطي المرجانة
لابنة المساكين (مريم). حين علّقتها

ما كانت تليق لها. مجّانًا أتقن
الإيمان، لأنّه كلّه يليق
بكلّ أعضاء بني البشر.
١٤ لا بالذهب تتبدّل حرّيّة
مرجانتها. عار عظيم
أن يرموا مجّانًا في العلّيقة
مرجانتك. في مرجانة
الزمن ننظر (مرجانة) الأبد.
١٥ تلك التي في صرّة، وفي ختم،
وداخل كنز، خارج الباب
أبواب أخرى مع مغاليقها،
مع أقفالها. مرجانتك
ختمها الرفيع المجازي الكلّ(*).

(*) أناشيد الإيمان، ٨٣، المرجانة، النشيد الثالث.

المرجانة والإيمان

١ اقتنى اللصُّ الإيمان
الذي اقتناه، وأدخله فوضعه
داخل الفردوس. رأى في الصليب
شجرة الحياة. كانت هي الثمرة،
وهو بدل آدم كأنّه الآكل

الردّة طوبى لمن آمن مثل سمعان،
الذي ورث طوباك.

٢ الجاهل الذي له إيمان
في كلِّ سؤال، هو مطليٌّ
كالعين. مثقب الإصبع
أعمى العين، وأفضل منه
التبصّص في الإيمان،

٣ والغاطس وراء المرجانة
لا يبصّها. بها يفرح
كلُّ التجّار. ما بصّوا (تحقّقوا)
متى هي، وما تأمّل فيها
الملك الذي يتكلّل بها.

٤ بما أنّه كان لبلعام الجاهل

بصيرة جاهلة، بواسطة الأتان
تكلّم معه. وأنت توبّخك
المرجانةُ، بدل الأتان.

٥ الشعب الذي اقتنى قلبًا من حجر
بكّته بالحجر. فالصخرات
سمعت كلمات (موسى). شاهدةً صُنعت
لكي توبّخهم. وإيّاكم أيّها الخرس،
تُوبِّخ المرجانةُ في هذا اليوم.

٦ السنونو والغراب بكّتا
بني البشر. وبالثور بكّت
وبالحمار أيضًا. والآن توبِّخ
المرجانة. ها هي الطيور
في الوسط وفي الأسافل.

٧ ما امتلأ نورك كالقمر،
ولا صغر. فالشمس أعظم
من الكلّ بإشراقها. ها صُوِّر النمط
في تصاغرك يا سرّ الابن.

٨ أقنوم مليء، ومملوء بالنور،
هو المرجانة. وما من صانع
يسرق منها. فحسنُها نورُها
وحارسها. لا نقص فيها،
فكما هي، هي كاملة كلّها.

وإن شاء إنسان أن يكسر ويأخذ
القليل منك، الإيمانَ
شابهت، الذي باد لدى الكفّار،
الذين مزّقوه فتاتًا ثمّ تعقّبوه.

١٠ الإيمان كيان كامل،
وغير فاسد. من يمزّقه
يتأذّى به. من يكفر به
يفسد فيه. من يلاحق النور
هو يعمى في بؤبؤة عينه.

١١ مقسومتان هما النار والريح
وقويّتان، النور وحده،
فوق كلّ البرايا، لا يُقسَّم
مثل خالقه. لا هو عاقر،
ولا هو يلد ولا ينقص.

١٢ وإن ظنّ إنسان أنّك أتقنت،
يضلّ كثيرًا. كيانك يصرخ
أنّه ليس متقن الصنّاع
مثل كلّ الحجارة في سرّ هذا الولد.
الذي ما أتقنه الصانع الإلهيّ.

١٣ هرب صخرُك من مقابلة
صخرة الابن. فولادتُك الخاصّة
من داخل الأعماق. فابن باريك

من عُلى الأعالي. وإذ يشبهك
لا يشبهك، بل يُشبه أباه.
١٤ وكما الخبر (يقول): حضنان اثنان
ولداك أنت أيضًا. نزل من العلاء
كيان مسائل. صعد من البحر
جسمًا ثابتًا. في ولادة ثانية،
بيّنت حبّك لبني البشر.
١٥ ثقبتك الأيدي حين تجسَّمت
لمن أمسكوك. أنت في التاج
كما على الصليب. وأنت في إكليل (انشوك)
كما في الظفر. أنت على الأذان
مثل كلمات مفروشة للجميع(*).

(*) أناشيد الإيمان، ٨٤، المرجانة القصيدة الرابعة.

المرجانة عمود النور

١ يا موهبة صعدت مجّانًا
مع الغاطسين، نسيبة نور
الذي تجلّى. مجّانًا ظهر
لبني البشر. لغز خفيّ
وهب الظهور الخفيّ مجّانًا.

٢ المصوِّر أيضًا في صورة صوّرك
بالألوان. فيك صوَّر
الإيمان بالألغاز والأسرار
كما الألوان. وبدل الصورة،
فيك وفي لونك صوّر باريك.

٣ رائحة عطر الأسرار
منك تفوح. لا تؤكلين،
وللسامعين كنت عذبة.
لا تُشربين، وفي الخبر
معين أسرار لآذان صُنعتِ.

٤ أنت عظيمة في تصاغرك،
أيّتها المرجانة. حقيرة مساحتُك،
صغير كيلُك. مع وزنك

عظيمٌ مجدُك. للتاج وحده
ليس ما يشبهك. وفيه وُضعتِ.
٥ وفي تصاغرك، من لا يدرك
كم أنت عظيمة. إن استخفّ بك
أبادك أيضًا. هو يُلام (يُعذَل)
في غباوته. وحين يراك
في إكليل الملك، يُجلَد بيدك.
٦ أناس عراة غطسوا وشالوكِ
أيّتها المرجانة. فالملوك،
جعلوك في المقدّمة، ولا البشر.
بل عراة سرّ المساكين
والصيّادين والجليليّين.
٧ لا تستطيع الأجسام اللابسة
أن تأتي إليكِ. أتى العراة
كالأولاد. قبروا أجسادهم
ونزلوا نحوكِ. سبحتِ إليهم،
استغاثوا بك. كم أحبّوك!
٨ لك وهبت البشرى ألسنتُهم
أمام عبابهم. فتح المساكين،
أخرجوا، بيّنوا غنى جديدًا
بين التجّار. في كفّ
البشر وضعوك دواءً للحياة.

٩ عراةُ السرّ رأوا انبعاثك
على جانب البحر. وعلى جانب البحيرة
رسلُ الحقّ رأوا انبعاث
ابن باريك. بك وبربّك
تزيّن البحرُ والبحيرة.

١٠ صعد الغاطس من جوف البحر
ولبس ثيابه. ومن البحيرة أيضًا
سمعان كيفا صعد وهو يسبح،
فلبس ثوبه. مثل أثوابهما
لبس الجانبان محبّتهما لك.

١١ بعد أن تهتُ فيك، أيّتها المرجانة،
أجمعُ فكري وأنظر فيك
لأتشبّه بك. اجتمعتِ
كلُّك لدى نفسك، وفي كلّ وقت
واحدة أنت. ليتني أكون واحدًا فيك.

١٢ جمعتُ المرجانة لأصنع
تاجًا للابن، بدل الزلاّت
التي في أعضائي، إقبل قرباني
الذي لا تحتاج إليه. حاجتي
قرّبت إليك. أنظر إلى زلاّتي.

١٣ المرجانات الناطقة

إكليل كلّها. بدل الذهب
بالحبّ تتشدّد. وبدل الأبديّ
نعلي السبح نحو العليّ(*).

(*) أناشيد الإيمان، ٨٥، المرجانة، القصيدة الخامسة.
كملت (القصائد) حول المرجانة.

الخاتمة

في نهاية رفقتنا لأفرام السريانيّ، وقد أخذنا منه بعض الفتات، ساعة يبقى الكثير الكثير وفي مواضيع متنوّعة، نودّ أن نبقى عند مائدته، مائدة الربّ. فإليها يدعونا هذا الشاعر الكبير. مائدة الخبز أوّلاً وما يشبع جوعنا. فيسوع ولد في بيت لحم، مدينة الخبز كما قال أفرام مرارًا. ثمّ مائدة الإفخارستيّا. كلّ هذا برتبط بالحبل الإلهيّ من مريم العذراء، التي أعطته جسدًا سيكون لنا الجسد الذي نأكله لئلاّ نموت. ووهبته دمًا هو شرابنا الحقيقيّ لكي نثبت فيه ويثبت فينا.

وبين مائدة الخبز اليوميّ، ومائدة خبز الحياة وقوت الأرواح، تبقى مائدة ثالثة تجمع الاثنين. هي مائدة الكلمة. كلمة نسمعها في ولائمنا اليوميّة، وكلمة نسمعها في الاحتفال بالإفخارستيّا، فتقودنا إلى من هو الكلمة القائم قرب الله والذي يشارك الآب والروح القدس في اللاهوت. والعلاقة بين المائدتين تعود إلى بداية المسيحيّة، حيث كان عشاء المحبّة يسبق عشاء الإفخارستيّا. عرفنا عن العشاء الأوّل وجهته السلبيّة كما ندّد بها بولس الرسول في كلامه عن عشاء يسوع الأخير، ولكنّ الوجهة الإيجابيّة تبقى حاضرة إذا شئنا فلا يكون موضع لمحاباة الوجوه، فنكرّم الغنيّ ونجعل الفقير عند أقدامنا، كما قال القدّيس يعقوب في رسالته.

تكثير الأرغفة الذي توسّع فيه أفرام حين فسّر الإنجيل الرباعيّ أو الدياتسّارون، وأنشده مرّات عديدة، يمكن أن ينير طريقنا بعد، كما نقول بالنسبة إلى ما فعله يسوع ليلة آلامه.

فهذه الآلام استحوذت على فكر أفرام. فترك لنا أناشيد الفطير والصلب والقيامة. كان بالإمكان أن نورد هذا الميمر أو ذاك. ولكنّها جاءت في «ينابيع الإيمان» الكتاب الثامن: نستطيع أن نعود إلى الميامر حول الفطير كلّها، وبشكل خاصّ الثاني والتاسع والسابع عشر والتاسع عشر. وكذا نقول عن الميمرين الثاني والرابع في أناشيد الصلب، والنشيد الثالث في موضوع القيامة. خلال دراسة المواضيع، وردت نصوص عديدة أخذت من مختلف مؤلّفات أفرام. يمكن أن تكون هذه المقاطع نقطة انطلاق لقراءة الميمر كلّه للتعرّف إلى فكر أفرام الذي هو أبعد ما يكون عن البلاغة اليونانيّة، التي تقسم أفكارها «ثلاثة أقسام» مثلاً، فتوسّع قسمًا وتنهيه قبل أن تنتقل إلى قسم آخر. الإيمان المسيحيّ واحد. وافرام يستقي منه، فيأخذ من هنا وهناك كما النحلة تنتقل من زهرة إلى زهرة. هو لا يريد أوّلاً أن يُقنع العقل، بل أن يدخل إلى القلب الذي هو مركز الفهم في الشرق، وموضع القرار لاتّخاذ موقف بالنسبة إلى التيّارات الفكريّة المعاصرة له. عندئذ يفهم المؤمن معنى المائدة الأولى التي تدلّ على المحبّة الأخويّة، والمائدة الثانية التي تدلّ على محبّة الله لنا حين أرسل إلينا ابنه من أجل خلاصنا لا من أجل هلاكنا. فمائدة الخبز تقود إلى الإفخارستيّا، ومائدة جسد المسيح ودمه تفهمنا كيف نعيش الوصيّة الثانية التي هي محبّة القريب والتي هي الشهادة الحقّة لمحبّتنا لله.

الفهرس

تقديم ٥

القسم الأول: مواضيع افرامية حول الافخارستيا ٧

بين الإفخارستيّا وذبيحة الصليب ٩

الإفخارستيّا وحضور المسيح ١٦

الإفخارستيّا واستعداداتنا ٢٥

الإفخارستيّا وجنّة عدن ٣٦

مريم العذراء والإفخارستيّا ٤٥

القسم الثاني: أناشيد في المائدة ٦١

الميمر الأول: المائدة المسيحيّة ٦٥

الميمر الثاني: شكر لله ولمن دعانا ٧٥

الميمر الثالث: نأكل ونشرب كما الرسل ٨٠

الميمر الرابع: مثل إيليّا وأليشع وحزقيال ٨٧

الميمر الخامس: معجزات طبيعيّة ٩٢

الميمر السادس: الشكر والتسبيح في ولائمنا ٩٨

الميمر السابع: نكران الجميل لدى بني إسرائيل ١٠٣

الميمر الثامن: إسرائيل أمام المنّ ١١٠

الميمر التاسع: شكر لله على الثمار ١١٦

الميمر العاشر: الشكر على الطعام ١١٨

الميمر الحادي عشر: ضيافة إبراهيم وأيّوب ١٢٤

القسم الثالث: ميامر في الافخارستيا ١٣١
نشيد ٤٧، مبارك من وهبنا جسده ١٣٣
نشيد ٤٨، مبارك من أبهج الشعوب ١٣٨
نشيد ٤٩، مبارك من كفّر عن المؤمنين ١٤٢
نشيد ٥٠، مبارك من أتمّ الرموز ١٤٦
نشيد ٥١، مبارك من ختمنا بدمه ١٥٣

القسم الرابع: من أناشيد البتوليّة والايمان ١٥٧
الطبيعة وآلام المسيح ١٥٩
الإفخارستيّا والميرون ١٦٢
روح المسيح في منديل الناسوت ١٦٦
رموز الإيمان من الثالوث إلى الصليب ١٧١

القسم الخامس: قصائد في المرجانة ١٧٥
المرجانة وملكوت السماء ١٧٧
المرجانة بنت البحر ١٨١
المرجانة تقود إلى المسيح ١٨٥
المرجانة والإيمان ١٨٩
المرجانة عمود النور ١٩٣

الخاتمة ١٩٧
الفهرس ١٩٩